

مشروع القرن الثقافي

روايات مصرية للجيب

في كل رواية متعة دائمة



حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسي .
يصارع للحفاظ على حياته .
والحفاظ على سلامة عقله .

مالة اشتباه

7

Looloo

www.dvd4arab.com



مقدمة

من منا لم يحتج إلى شخص يتكلم إليه بحرية فينصت له باهتمام ؟ من منا لم يحتج إلى أخ ليشاركه همومه ومشكلاته ؟ من منا لم يحتج إلى صديق مخلص يسدى إليه النصيحة ؟ من منا لم يحتج إلى طبيب نفسي ؟

أعرفكم بنفسي ... د. (ياسين العوضى) .. استشاري الطب النفسي وعضو الاتحاد العالمي للصحة النفسية .

ستلتقون معي في كل عدد مع حالة نفسية كنت أعالجها وكانت لي جلسات معها .. ستعتادون على هذه الجلسات العلاجية .. وربما تدمنونها .

بالنسبة لاسم السلسلة فأنا أرى أنه مناسب ؛ لأنني أتحدث عن حالات خاصة بالفعل .. ولأن معظم هذه الحالات يبدئون حديثهم بجملة « أنا حالة خاصة جداً يا دكتور » وكأنهم جاءوا ليدهشوني فقط .. وليس أملاً في الشفاء .

سنتعرف بإذن الله من خلال هذه السلسلة على الأمراض النفسية .. سنتكلم عن الأعراض العضوية والأعراض النفسية .. ونتناقش في طرق العلاج .

سنتحدث عن الهلوس .. هل تسمع هذا الصوت المخيف ؟
هل ترى هذه الفتاة العرجاء ؟ هل تشم هذه الرائحة الذكية ؟ ... هل
تجلس بجوارى الآن .

سنحاول تفسير أحلامنا بوجهة نظر نفسية .. سنجيب سؤال :
لماذا حلمنا بذلك ؟

سنحلل العقد النفسية .. من هو (أوديب) ؟ هل سمعت عن
(الكترا) ؟

سنسألك عن الفوبيا (Phobia) .. هل قرأت عن البارانويا
(Paranoia) ؟

هل تعاني من الوسواس التهرى ؟

هل تتحدث أثناء نومك ؟ هل تسير أثناء نومك ؟ هل تنام
بكثرة ؟ لماذا لا تستطيع النوم ؟

سنأمل الحيل الدفاعية .. لماذا نمارسها بكثرة ؟ هل هي
صحية ؟

وسنعرف الكثير عن الصراعات النفسية .

سنسألك فى حيرة : من أنت ؟ هل (أنت) كما ترى نفسك ؟

أم (أنت) كما تريد أن تكون ؟ أم (أنت) كما يراك الآخرون ؟ أم
(أنت) شخص آخر ؟

سنكتشف أنك لست وحيداً .. هناك (الأنا) و(الهو) و(الأنا
الأعلى) .

سنعرف كيف تتعامل مع الآخرين .. كيف تفهم الآخرين .. وقبل
كل ذلك .. سنساعدك لكى تفهم نفسك .

أيكفى ما قلته كمقدمة ؟ فلنبدأ القراءة إذن .. ولكن مهلاً ..
يجب أن تعلموا من البداية أننى لن أستخدم الأسماء الحقيقية
للمرضى ، لأنه لا يجب أن أصرح باسم الحالة ..

إن الطبيب النفسى يجب أن يحافظ على أسرار مرضاه وعلى
شرف مهنته .. كأى طبيب آخر ..
و .. كأى صاحب مهنة أخرى .

د. ياسين العوضى

1 - جريمة قتل ..

نظرت هنا وهناك ..

بحثت عن مكان نظيف أجلس عليه .. وأقصد بـ (نظيف) أن يكون خالٍ من أى حشرات زاحفة أو طائرة .. فالنظافة مصطلح نسبي كما تعلمون ..

بحثت عن أى قطعة قماش أو أى ورقة جرائد لأجلس عليها .. لم أجد .. فجلست على الأرض الباردة وأسندت ظهري على الحائط ..

كانت هناك كنبية خشبية .. صالحة لخمسة أفراد يجلس فوقها ثمانية .. لا أعتقد أنها ستتحمل فردًا تاسعًا .. ولا أعتقد أنى أود الجلوس عليها مع هؤلاء الرجال ..

كان عدد من يشاركوننى هذه الغرفة الكنبية يقترب من العشرين .. منهم ثمانية يجلسون على الكنبية .. ومنهم الجالس على الأرض مثلى .. ومنهم الواقف .. ومنهم ما هو بين هذا وذاك ..

تأملت وجوههم على ضوء القمر المتسلل من النافذة الصغيرة المدعمة بقضبان حديدية ..

هناك مصباح يتدلى من سقف الغرفة .. لكنه مطفأ ولا أعرف السبب ..

فوجئت بأحدهم يجلس بجوارى .. تأملت ملامح وجهه على ضوء القمر .. فتمنيت أن يحدث خسوف حتى لا أرى ملامحه مجددًا ..

سألنى ماذا يده للمصافحة :

- اسم الكريم ؟

صافحت يده الخشنة القوية .. وشعرت أن عظام يدي ستتحطم أثناء المصافحة .. أجبته على الفور :

- (ياسين العوضى) ..

ابتسم فظهرت أسنانه أو ما تبقى منها .. فمعظمها أصبح فى مكان آخر غير فمه أما الباقي فهو آيل للسقوط .. قال لى وهو يضع يده على صدره بكل فخر :

- محسوبك (شلاطة عطية) ..

عادي .. اسم مناسب للشخص الذي يتحدث معي .. لم أتوقع أن يكون اسمه (هيثم) أو (لؤي) على أى حال .

سألنى وقد بدا لى أنه مستمتع بالجلوس معي والحوار :

- تهمنتك ؟

شعرت أن أسنانه تنوى السقوط أثناء الحديث .. أجبته بكل صدق :

- جريمة قتل .

نظر لى خائفاً عندما شعر أنني أتحدث بصدق تام وانسحب بهدوء .. ثم أخرج سبجاراً من جيبه .. كانت معوجة فسواها بأصابعه ثم ألقاها فى فمه .. و« لط عينيه على ليتابنى يحذر .. أما أنا فلم يكن لدى أى ميول لمتابعته .. أو إجراء أى بحوث اجتماعية عليه .. لا يهمنى معرفة أى شىء عن حياته النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية .. ولا يهمنى معرفة سبب تكوين شخصيته الإجرامية ولا أى شىء آخر عنه .. ولهذا لم أخبره أنني طبيب نفسى .

تحاشيت النظر له وعدت بذاكرتى لأسترجع كل الأحداث الماضية التى وصلت بى لهذه اللحظة البغيضة .

* * *

2 - رسالة من امرأة ..

(نادين) ..

حبيبة قلبى .. خطيبتى السابقة ..

لقد تعرضت المسكينة لمخاطر كثيرة بسببى .. لذا رأت حماى أن أفضل حل هو فسخ الخطوبة .. بهذا تريح نفسها من القلق الدائم على حياة ابنتها .

ولقد منعتنى من رؤيتها أو التحدث معها .. بل هددتني بأنها ستبلغ الشرطة لو حاولت .

وهكذا تعقدت الأمور ..

ففكرت فى اللجوء إلى حماى .. ذلك الرجل الطيب .. ورأيت أنه آخر أمل لى فى عودة المياه إلى مجاريها و الزواج من ابنته . لذا قررت السفر للخارج ومقابلته .. لكى أقنعه بزواجى من ابنته وأنتى سأكون حريصاً - من الآن فصاعداً - على حياة ابنته وتجنّبها أى مخاطر .

وبعد رحلة بحث طويلة عنه فى الدولة التى يعمل بها .. اكتشفت أنه مات .

لكن حماتى كانت تتحدث دائماً عن رسائله واتصالاته وكأنه لا يزال حياً يرزق لذا خمنت أنها تعرف الحقيقة وخبأتها عنا جميعاً .

(نادين) لا تعلم أن أباهم متوفى ولن أستطيع إخبارها بذلك .. ولا أريد .

فى النهاية .. عدت إلى مصر حاملاً أطناناً من خيبة الأمل واليأس .. لقد فقدت آخر أمل فى الزواج من حبيبة قلبى .. (نادين) .

* * *

دخلت عيادة جارتى الطبيبة النفسية د.(ريهام بهجت) قبل دخول شقتى .. فعيادتها فى الشقة المقابلة لشقتى .

قالت لى وعلى وجهها ابتسامة سعادة :

- حمداً لله على السلامة يا دكتور .

ابتسمت لها وقلت :

- الله يسلمك .

سألتنى باهتمام شديد :

- هل قابلت حماك ؟ ماذا قلت له ؟ ماذا قال لك ؟ ما الذى حدث ؟ أخبرنى .

أجبته بحسرة :

- للأسف لم أستطع مقابلته .

لمحت السعادة تظهر على وجهها لمدة ثوانٍ بسيطة .. ثم رأيته تحاول إخفاءها بسرعة للرسم ملامح الحزن بدلاً منها .. هل ما رأيته صحيح أم إننى أتخيل هذا ؟!

قالت د.(ريهام) بحزن .. لا أعرف إن كان حقيقياً أم زائفاً :

- لماذا ؟ لماذا لم تستطع مقابلته ؟

قلت وأنا أتأمل ملامح وجهها جيداً لأعرف رد فعلها عند

سماع جملتى :

- لقد مات .

قالت بضيق :

- البقاء لله .. وما العمل الآن ؟ ما الذى ستفعله ؟

لم أرد .. ربما لأنى لا أعرف الإجابة .

ما الذى يمكننى عمله الآن ؟ لقد صارت حماتى - السابقة
إن أردنا الدقة - هى المسئولة الوحيدة عن مصير ابنتها .. هى
الوحيدة التى يمكنها إصدار قرارات تتعلق بحياتها ومستقبلها .
وهى تكرهنى بشدة ولا أستطيع إيجاد شخص يمكنه إقناعها
بتغيير مشاعرها تجاهى .. حماى - رحمه الله - هو الوحيد الذى
كان بإمكانه ذلك .

هى تكرهنى بشدة لأسباب عديدة .. منها تعريض ابنتها
لمخاطر شتى بسببى .. وآخر هذه الأسباب هو اعتقادها بأننى
المسئول عن موت ابن أخيها (أسامة) (*)

سألت د.(ريهام) عن (نادين) .. فقد طلبت من الأولى قبل
سفرى أن تسلم الأخيرة رسالة منى إذا جاءت لعيادتها وسألت
عنى .. أجابتنى قائلة :

- لم تأت هنا .

(*) لمزيد من التفاصيل راجع العدد الخامس من السلسلة .

فرأت ملامح الحزن على وجهى فقالت لى :

- ولكنها اتصلت .

لم أصدق ما قالت .. قلت مندهشاً :

- ماذا ؟ !

- نعم .. وأخبرتها بأمر الرسالة فطلبت منى أن أقرأها لها .

- وقرأتها لها ؟

- نعم .

- وماذا قالت ؟

- قالت أنها سعيدة جداً بقيامك بهذه الرحلة و تنتظر عودتك
بفارغ الصبر .. وقالت أيضاً أنها لا يمكن أن تتزوج من أحد
غيرك .

يا لها من أخبار جميلة ! كنت سعيداً جداً بما قالت د.(ريهام) ..
لأننى كنت قلقاً جداً بسبب الأحلام التى رأيتها ..

فلقد حلمت أثناء رحلتى بأحلام كثيرة جداً .. منها حلم تقطيع
الرسالة بدلاً من تسليمها لـ (نادين) متخيلاً أن د.(ريهام) تحببى

وتريد إبعاد (نادين) من حياتي .. وحلمت أيضًا أنها أخبرت (نادين) أنى تزوجت و زوجتى اسمها د.(سالى راغب) .. ما هذا الاسم ١٩ ولماذا اخترته فى الحلم ١٩ .. الله أعلم .

ثم حلمت أنها خططت مع حماتى لصنع دليل مقنع على زواجى المزيف .. استخدموا الصورة التى تجمعنى بوالد د.(ريهام) الطبيب النفسى الشهير .

وضعوا صورة امرأة جميلة بدلاً من صورة د.(بهجت) .. وغيروا قاعة المؤتمرات فى خلفية الصورة إلى مكان رومانسى .. وحلمت أيضًا أن (نادين) رأت الصورة و صدقتها ولهذا قررت الزواج بسرعة لتنتقم منى .

كانت كوابيس شنيعة .. طاردتنى طوال الرحلة .. وكنت أتمنى ألا تتحقق .. لذا طرت من السعادة عندما علمت أن د.(ريهام) أخبرت (نادين) بأمر الرسالة و قرأتها لها .. ها هو أول حلم لم يتحقق لذا لن نتحقق ببقية الأحلام .

قلت لها بسعادة :

- شكرًا .. شكرًا جزيلاً .

أجابت بابتسامة هادئة :

- على ماذا يا دكتور ؟ أنا لم أفعل شيئاً .. فقط أبلغتها برسالتك . ضحكت قائلاً :

- أنت لا تعلمين ما الذى حلمت به .

سألتنى متعجبة :

- وما الذى حلمت به ؟

- لقد حلمت أنك ...

بترت جملى .. شعرت أنه ليس من اللائق أن أخبرها بالحلم .. لكنها صممت على المعرفة .

- أرجوك أخبرنى .. بماذا حاست يا دكتور ؟

بعد إلحاح شديد .. قلت مستسلمًا :

- حلمت أنك .. تحبينى .

توقعت غضبها لكنى فوجئت بها تقول بتلقائية :

- هذا صحيح .

نظرت لها مندهشًا .. فقالت بارتباك :

- أ .. أقصد .. أننى لا أكرهك .

- لا .. أنا أقصد أنك تحبيننى .. بمعنى أنك ..

ثم توقفت .. لأنى شعرت أنها فهمت المعنى .. لذا أكملت :

- وأنك فكرت فى إبعاد (نادين) عنى بحيلة ذكية مستخدمة الصورة التى تجمعنى بوالدك .. وضعت صورة امرأة أخرى معى فى الصورة .

ضحكت قائلة :

- يا لخيالك الجامح !

ثم تابعت قائلة :

- ولكن .. سأفترض .. لو .. أقول (لو) .. مجرد افتراض .. لو أننى أحبك حقًا .. فالمفروض أن أحب الخير لك .. وأتمنى لك السعادة حتى لو كانت مع واحدة غيرى .. طالما أنك تحبها أكثر منى .

قلت لها مبتسماً :

- رأى جميل .

أطرقت برأسها أرضاً وهى تقول :

- أنا أقول (لو) .. مجرد افتراض ..

ضحكت قائلاً :

- وأنا أقول (رأى جميل) .. مجرد افتراض .

ثم سألتها :

- ألم تخبرك متى ستتصل مرة أخرى ؟

- من ؟

- (نادين) .

- آه .. (نادين) .. لا .. لم تخبرنى .

فكرت فى العودة لشقتى ولكنى تذكرت شيئاً فقلت :

- هل سأل عنى أحد فى غيابى ؟

قالت محاولة التذكر :

- كنت أسمع الهاتف فى شقتك يرن كثيرًا .. لكنى لم أكن أعلم طبعاً من المتصل .. وهناك من طرق باب شقتك ورحل دون أن أعرف اسمه .

.....

- أما الذين سألونى عنك كانت واحدة فقط

قلت متعجباً :

- واحدة ! من ؟ ما اسمها ؟ ألم تخبرك به ؟

قالت محاولة التذكر :

- اسمها ! اسمها ! .. ثوانى .. سأذكره ..

ثم تذكرت .. فقالت :

- آه .. كان اسمها د. (سالى راغب) .

رأت ملامح الدهشة على وجهى فسألتنى :

- ما بك يا د. (ياسين) ؟

- لا شىء .

- هل تعرفها ؟

- لا .

- حسناً .. ما هو سبب اندهاشك ؟

أجبته ببساطة :

- لأننى لا أعرفها .

لم تفهم جملتى .. لم تفهم سر اندهاشى .. سألتها :

- هل أخبرتك بأى شىء ؟

- لا .

الأمر محير بشدة .. من هى د. (سالى راغب) هذه ؟ لقد حملت بهذا الاسم .. كان مجرد اسم فى حلم .. اخترعه عقلى أثناء النوم ليكمل تفاصيل الحلم .

لكنه الآن يتحول من مجرد اسم خيالى إلى كيان مادى حقيقى يحمل هذا الاسم .. من هى هذه الطبيبة ؟ ولماذا حملت بها ؟ !
ثم حاولت تذكر شكلها فى الصورة المزيفة .. لم أستطع .. كانت الصورة ضبابية .

قلت لها :

- صفى لى شكلها .

اكتشفت من إجابتها أنها لا تجيد وصف الشكل .. إنها مثلى .. أو أنها قد نسيت شكلها لذا لم تستطع الوصف بدقة .

ثم صاحت فجأة :

- لقد تذكرت شيئاً .

سألتها بلهفة :

.. ما هو ؟

.. عندما أخبرتها أنك بالخارج .. توقعت أن تنصرف على الفور .. ولكنى لمحتها تتجه لشقتك وتضع شيئاً أسفل الباب ودفعته بيدها للداخل .

اندفعت إلى شقتي لأعرف هذا الشيء .. وكانت د. (ريهام) خلفي وقد قتلها الفضول مثلي .. لولا رنين جرس الهاتف في عيادتها جعلها تعود إليها .. أما أنا فقد فتحت باب الشقة وأنا أفكر في احتمال مخيف لهذا الشيء .. هل من الممكن أن تكون الصورة المزيفة التي حلمت بها ؟

هل سأجد صورتي مع هذه المرأة ؟

أمام قدمي مباشرة وجدت هذا الشيء الذي وضعته د. (سالى راغب) لى .. كانت ورقة بيضاء كتبت عليها جملة واحدة بخط أنثوى رقيق ..

(أحبك يا دكتور)

* * *

3 - العودة ..

من هي د. (سالى راغب) ؟ من هي هذه الطبيبة الغامضة ؟ ولماذا حلمت بها ؟ هل أعرفها ؟ هل رأيته من قبل ونسيت اسمها ؟

وما هذه الرسالة القصيرة ؟!

(أحبك يا دكتور) !

من هي هذه المرأة التي تحبني وأنا لا أعرفها ؟!

أمر محير !!

ولكنى متأكد أنها ستأتى ثانية وسأراها وسأعرف منها كل شيء .. وقتها سيزول كل هذا الغموض .

* * *

عدت إلى عيادتي الحبيبة ..

فتحت بابها الذى لم يفتح منذ سفرى

كنت أفنديها جداً .. وددت أن أحتضنها .. لكن المشكلة أنني -
حتى الآن - لا أعرف كيفية احتضان عيادة .

كنت أشتاق لجلوسى بها وأشتاق لسماع مشاكل المرضى
ومحاولة حلها .. أشتاق لحياتى السابقة التى تركتها خلال
سفرى .

استدعيت (وائل) الممرض هاتفياً .. وعند وصوله قال
بسعادة :

- حمداً لله على السلامة يا دكتور .

- الله يسلمك .. هل سأل أحد عنى أثناء غيابى ؟

- لا أعلم .. فلقد أغلقت العيادة كما طلبت منى .. ووضعت
إعلان على باب العيادة أخبر فيه المرضى بمسألة سفرى ..
وكتبت رقم هاتف العيادة فى نهاية الإعلان حتى يتمكنوا من
الاتصال ومعرفة موعد وصولك .

- جميل .

طلبت منه استدعاء السيدة التى تقوم بتنظيف العيادة ..
ففند على الفور .. ثم بعد قليل سألتنى :

- هل نتصل بالمرضى ؟

أجبتة على الفور :

- لا طبعا .

ثم أشرت إلى مكتبه وقلت :

- فقط اجلس هنا على مقعدك .. وسوف يأتون أو يتصلون ..

وقتها سيعرف الجميع أنى وصلت .

- حسناً .

ثم تركت العيادة الخالية من المرضى وذهبت إلى المستشفى .

* * *

خرجت من المستشفى متجهاً إلى شقتى الحبيبة طلباً للراحة
بعد عناء يوم طويل .

وبعدما نلت كفايتى من الراحة قررت العودة إلى عيادتى .

العيادة ستكون ممثلة الآن .. ربما لا أجد فيها موضع لقدم ..

أتخيل المرضى وهم يريدون الفك بـ (وائل) بسبب سفر الطبيب
فى الأيام الماضية وتأخره عليهم اليوم .

كم سيكون عددهم ؟

أعتقد أن العدد سيكون كبيراً .. كبيراً جداً .. لماذا ؟ قبل أن تتهموني بالغرور أو الزيادة المفرطة في الثقة بالنفس .. سأخبركم بالسبب .

العدد سيكون كبيراً لأن جميع الجلسات تم تأجيلها لحين عودتي .. لذا أتوقع حضور جميع المرضى من أجل الاتفاق على مواعيد جديدة للجلسات .

وهكذا ستكون العيادة مزدحمة ، ولن أستطيع العبور لغرفتي من كثرة المرضى .

لن أتصل بالعيادة لأطمئن على الحال هناك .. لابد أن أرى المرضى بنفسى .. إنى أفتقدهم بشدة .

طبعاً رأيت مرضى كثيرين اليوم فى المستشفى .. ولكنى أفتقد مرضى العيادة .. فمرضى العيادة يختلفون بالتأكيد عن مرضى المستشفى .

مرضى العيادة جاءوا خصيصاً من أجلى .. دفعوا ثمن الجلسات لأنهم يثقون فى .. أو سمعوا عنى كلاماً طيباً .. تحمّلوا مشقة

انتظار أدوارهم من أجلى .. هؤلاء يثبتون لى نجاحى .. هؤلاء هم سبب شهرتى .

أما فى المستشفى .. فأنا مجرد طبيب آخر وربما لا يحفظ المرضى هناك اسمى .

اقتربت من باب العيادة .. ما هذا ؟! أنا لا أسمع أى ضوضاء . لم أعتد أن يكون المرضى بهذا الصمت الرهيب .. والمتوقع أن تكون هناك ضوضاء عالية فى هذا اليوم بالذات .

وقفت أمام باب العيادة متردداً ..

صمت تام !

لا يوجد مرضى !

هل هذه عيادتى ؟!

عدت لأتأكد من اللافتة المعلقة بالخارج .. فربما أكون أخطأت الدور .

ولكنها عيادتى .. ها هى اللافتة .. ها هو اسمى عليها .. د. (ياسين العوضى) .

نظرت إلى الداخل .. ها هو (وائل)

كان نائمًا على المكتب .. اتجهت إليه و أيقظته .. فقال لى
بخمول :

- دعيني أكمل نومي يا (فوزية) .

تمالكت نفسي و قلت بهدوء :

- ولكنى لست (فوزية) .

قال وهو لا يزال فى عالم آخر :

- من أنت إذن ؟

أجيبته ساخرًا :

- أنا (محاسن) .

نهض بتكاسل .. قال و هو يتثائب :

- (محاسن) من ؟

فتح عينيه فرآنى .. فنفض الكسل عنه ووقف بسرعة وقال :

- د. (ياسين) !

أجيبته بغضب :

- نعم .. د. (ياسين) .. وهذه عيادة وليست بيتكم .

وضع يده على فمه ليمنع تثاؤبًا آخر وقال :

- آسف جدًا يا دكتور .

سألته مندهشًا :

- أين المرضى ؟ متى انصرفوا ؟ ولماذا تركتهم ينصرفون ؟
ولماذا ... ؟

قاطعنى قائلاً :

- ولكن يا دكتور .. لم ينصرف أحد .

- ما هذا ؟ أين المرضى ؟ .. أنا لا أرى أحدًا .. إياك أن تقول
أنك تركتهم يدخلون غرفتى .

- لا يا دكتور .

سألته مندهشًا :

- فى المطبخ ؟

- لا .

سألته باندهاش أكبر :

- فى الحمام ؟

- لا .

وقبل أن أسأله سؤال آخر قال لي يرحنى من كثرة الأسئلة :

- أنا أقول (لم ينصرف أحد) لأنه لم يأت أحد .

- ماذا ؟!

* * *

لا داعى للقلق .

المرضى سيأتون .. وبكثرة .. ما يحدث أمر طبيعى جداً .

لقد غبت عن العيادة لفترة .. والمرضى لم يعلموا بعودتى بعد .. غدا سيعلمون وستمتلى العيادة عن آخرها ولن أجد وقتاً للراحة .

قال (وائل) بحماس :

- هل تحب أن نتصل بالمرضى ونبلغهم بعودتك ؟

ابتسمت بثقة وأجبت قائلاً :

- لا تشغل بالك يا (وائل) .. غدا سيأتون ويسألونك وسيعرفون

أنى عدت .

ثم وضعت يدي على كتفه وقلت :

- اطمئن .

لقد تعودت على هذا الوضع .. فلقد سافرت كثيراً من قبل .. وبعد كل رحلة كنت أجد عدداً قليلاً من المرضى فى العيادة .. فقط الذين علموا بخبر عودتى من السفر .. بعد ذلك يعود العدد إلى سابق عهده وأجد جميع المرضى الذين تركتهم قبل سفرى .

فمن الصعب على الفرد أن يغير طبيبه النفسى الذى اعتاد عليه .. إنها مسألة ثقة ومن الصعب أن تنقل ثقتك من طبيب نفسى إلى طبيب نفسى آخر .

إن طبيبك النفسى هو الشخص الذى أعطيته ثقتك وانتمنت له على أسرارك .. فتحت له قلبك وأخرجت له ما فى عقلك .. وتنتظر أن تسمع منه كلاماً يطمئنك .. يريحك .. يرشدك .. هو ينصحك لكى تعيش حياتك بصورة طبيعية وتتعم بالراحة النفسية .

إن الطبيب النفسى هو صديقك ولا يمكننا أن نغير أصدقاءنا بسهولة .

Looloo

www.zvcd4arab.com

* * *

« هل اتصلت (نادين) بك ؟ »

سألتني د.(ريهام) هذا السؤال قبل دخول شقتي فاستدردت لها وأجبتها :

- لا .. هل هناك أى أخبار جديدة ؟

نظرت لى جيداً لترى رد فعلى وأنا أسمع جملتها التالية :

- نعم .. هناك أخبار جديدة .

لم أهتم بنظراتها وتأملاتها .. ما يهمنى هو معرفة الأخبار الجديدة .. سألتها بلهفة شديدة :

- وما هى ؟

- لقد اتصلت .

* * *

4 - لم يأت أحد ..

قلت بسعادة كبيرة لجارتى د.(ريهام) :

- حقاً ؟

- نعم .

- وماذا قالت ؟ وماذا أخبرتها ؟ وهل ستتصل مرة أخرى ؟

قالت لى ضاحكة :

- مهلاً يا دكتور .. سؤال بسؤال .. لا أستطيع الإجابة عن كل هذه الأسئلة مرة واحدة .

- أجيبنى بالله عليك .

- يبدو أنك تحبها جداً !

-

- حسناً .. لقد سألتنى عنك .. فأخبرتها أنك وصلت بالسلامة

ففرحت جداً .. ثم قالت لى أنها ستحاول الاتصال بك فى العيادة .

قلت بحزن شديد :

- للأسف .. لم تتصل .

- ربما لم تكن موجوداً وقت اتصالها .. وربما لم تستطع الاتصال بك بسبب والدتها .. فمن حديثها عرفت أنها تراقبها جيداً .

- سوف اتصل بـ (وائل) لأعرف إن كانت قد اتصلت أم لا .

ثم شكرتها على هذه الأخبار الجميلة واتجهت لشقتي فقالت :

- لكن ..

عدت إليها وسألتها :

- لكن ماذا ؟

قالت متعجبة :

- أنت لم تمكث في العيادة كثيراً !

- كيف ؟

قالت بذكاء :

- لقد خرجت من شقتك متجهاً إلى العيادة منذ قليل .. وها أنت

قد عدت .. وبحساب الزمن والمسافة .. أعتقد أنك لم تجلس في عيادتك أو لم تذهب إليها أصلاً .

اندهشت من تعليقها .. قلت مبتسماً :

- هل تراقبينى ؟

- لا .. ولكن - كما تعلم - عيادتي خالية تقريباً .. لم يأت سوى عدد قليل منذ افتتاحها لذا أجلس معظم الوقت هنا .. في الصالة .. ومنها يمكننى رؤية باب شقتك .

يبدو أننى قد رزقت بجارة شديدة الملاحظة .. وجدت لنفسها هواية مسيلة .. ألا وهى (مراقبة شقة جارها الطبيب النفسى) .. سألتنى بفضول :

- هل كنت في العيادة ؟

- نعم .

أبدت دهشتها قائلة :

- كيف ؟ يبدو أنك خرجت منها بسرعة .

قلت محاولاً إراحة عقلها من التفكير

- كنت أطمئن على المرضى ثم حددت لهم مواعيد جديدة للجلسات القادمة .

أومات برأسها متفهمة .. ولم يخطر ببالها أن هذا لم يحدث و الدليل أنها قالت :

- أعتقد أنك وجدتها مزدحمة .. كما تركتها آخر مرة .

هزرت رأسى و اكتفيت بالصمت .. ودخلت شقتى .

* * *

« لم يأت أحد »

صدمنى (وائل) بهذه الجملة الثقيلة .. فسألته :

- متى فتحت العيادة يا (وائل) ؟

- فى الموعد المعتاد يا دكتور .. لم أتأخر دقيقة .

نظرت فى ساعتى .. ثم تأملت العيادة الخالية .. شعرت بالإحباط

والضيق الشديد .. لا أتحمل منظرها هكذا .. قلت له :

- سأغيب لساعة أو ساعتين أو أكثر .. وسأعود .. إياك أن

تخرج .. إياك .. لو احتجت أى شىء اطلبه بالهاتف .

قال (وائل) منزعًا :

- وماذا عن ساعات الراحة ؟

قلت بحزم :

- لا توجد ساعات راحة .. هذه الأيام .

- لكن

- فقط هذه الأيام .. وعندما يعلم المرضى بأمر عودتى وتزدحم

العيادة من جديد سوف نعود لجدولنا القديم وساعات العمل

المعتادة .

قال (وائل) مستسلمًا :

- كما تريد يا دكتور .

ثم سألتى بحماس :

- ما رأيك .. نتصل بالمرضى ونخبرهم أنك عدت ؟

أجبت بحزم :

- لا .. لا .. لا .

* * *

مرة اليوم وفي كل مرة كنت تجد العيادة مفتوحة وكنت تجدني جالساً يقظاً على هذا المقعد منتظراً دخول أى مريض .

كنت أود أن أقول له : (لا بد أنك أغلقتها في الوقت الذي لم أفاجنك فيه) و لكنى للأسف لست مقتنعا بهذه الجملة .. لذا اكتفيت بقول :

- حسناً .. يمكنك العودة لمنزلك الآن .. لقد أرهقت نفسك اليوم .

- شكراً يا دكتور .

- الشكر لله .

- كنت أفكر في الاتصال بالمرضى و ..

- لا يا (وائل) .. لا .

* * *

- كيف حال العيادة يا د. (ياسين) ؟

- بخير يا د. (ريهام) .

- هل اتصلت (نادين) ؟

- ليس بعد .

* * *

- كيف حال العيادة يا د. (ياسين) ؟

- عال العال يا د. (ريهام) .

- هل اتصلت (نادين) ؟

- ليس بعد .

* * *

« لم يأت أحد »

قالها (وائل) ليصدمنى مجدداً فقلت له محاولاً إخفاء إحباطى :

- طوال اليوم ؟!

- نعم يا دكتور .

- وماذا عن الهاتف .. ألم يتصل أحد ليسأل عن ... ؟

قاطعنى قائلاً :

- لا يا دكتور .

قلت له بغضب :

- لا بد أنك نمت .. أو خرجت .. أو أغلقت العيادة لفترة .

- لا والله يا دكتور .. وأنت تعلم ذلك .. لقد فاجئتني عشرين

« لم يأت أحد »

هذه الجملة سمعتها مراراً من (وائل) خلال الفترة الأخيرة .. قلت :

- والهاتف ؟

- لم يتصل أحد .

رفعت السماعة ووضعتها على أذنى وأنا أقول :

- ربما كان معطلاً .

- لا يا دكتور .. وأنت تعلم ذلك .. فلقد اتصلت من شقتك

واختبرته .

قلت بضيق شديد :

- هذا هو اليوم الثالث منذ عودتى !

- أعلم يا دكتور .. المسألة أن المرضى لم يعلموا بعودتك بعد .

قلت بغضب :

- (وائل) .. ما الذى أخبرت به المرضى قبل سفرى ؟ هل أخبرتهم

أننى سافرت أم مت ؟

- يا دكتور .. لقد أخبرتهم أنك سافرت .

- هل أنت متأكد يا (وائل) ؟

- نعم .. لقد أخبرتهم أنك سافرت .. وقلت أنها رحلة قصيرة

وستعود بسرعة إلى عيادتك حتى أضمن مجيئهم باستمرار

للعيادة للسؤال عنك وأنهم لن يذهبوا إلى أى طبيب آخر .

سألت نفسى بصوت عال :

- هل كان إغلاق العيادة خطأ كبيراً ؟

أجابنى (وائل) معتقداً أنى أسأله :

- لا يا دكتور .. فى المرة التى تركناها مفتوحة أثناء سفرك

تعبت كثيراً من الإجابة على أسئلة المرضى وأقاربهم عنك وعن

موعد وصولك .. وأرهقونى بساع أحاديثهم التى لا تنتهى .

ثم لاحظ حالتى النفسية السيئة فقال بهدوء :

- هل تحب أن أتصل بهم ؟

- لا .

كنت أرفض الاتصال بالمرضى ؛ لأن العادى أن يتصل المريض

بالطبيب وليس الطبيب بالمريض .. والمفترض أن يسأل المريض

عن موعد وصول طبيبه .. وليس من اللائق أن يتصل الطبيب

ويخبر مرضاه بعودته .. خاصة لو كان طبيباً نفسياً .. فربما يريد المريض ألا يعلم أحد من أسرته بأمر ذهابه إلى عيادة طبيب نفسي .

* * *

كنت جالساً في شقتي .. أتابع فيلمًا أجنبياً على التلفاز وقمت بكتف الصوت واكتفيت بقراءة الترجمة لمتابعة الأحداث .. لم أكن أريد أن تسمع جارتي الفضولية أى صوت فتشعر بوجودي بالشقة .. لأنها إذا شعرت سوف تتسائل لماذا أترك عيادتي .. وستعرف حينها كل شيء .

وأنا لا أريد هذا .

لذا خرجت أمامها من شقتي متجهاً إلى العيادة .. ثم عدت في فترة راحتها .. حتى لا ترائي .

إن خلو العيادة من المرضى صنع لى وقت فراغ كبيراً .. كيف أقضيه ؟

لن أجلس في العيادة منتظراً المرضى .. منظر العيادة الخالية يسبب لى الاكتئاب .. وأنا لى ما يكفى منه .. بعد فراق حبيبتي .

لقد اعتدت على رؤية العيادة ممثلة ولا أريد رؤيتها غير ذلك . فكرت فى الكازينو الذى اعتدت مقابلة (نادين) فيه .. ذهبت إلى هناك وجلست أسترجع ذكرياتي معها .. أحاديثنا اللذيذة .. كل منضدة فيه تحمل ذكريات جميلة لنا .

لكن ..

جلب الكازينو لى إحساس الوحدة .. أنظر إلى المقعد الذى أمامى وأتخيل (نادين) تجلس عليه .. لكن التخيل يذهب سريعاً وأعود لرؤية المقعد خالياً .

الكازينو يذكرنى بأوقاتنا الجميلة وفى نفس الوقت يذكرنى بضياعها .

شعرت أن جلوسى فى الكازينو سيسبب لى اكتئاباً أيضاً .. يبدو أن الاكتئاب صار شبحاً يطاردنى فى كل مكان وزمان .

لذا قررت المكوث فى شقتى ..

وانتظرت خروج د. (ريهام) من العمارة بعد إغلاقها عيادتها وقت الراحة .. وتسملت إلى شقتى الحبيبة .

وهاأنذا .. أجلس وحيداً أتابع الفيلم وأتساءل : لماذا قام البطل بهذه الحيلة الدنيئة ؟ هل ستعرف الحيلة حقيقة مشاعره

فى النهاية ؟ هل سيخدعها البطل مجدداً ؟ .. كيف سينتهى هذا الفيلم ؟ .. وكيف أعود إلى (نادين) ؟ .. وأين اختفى المرضى ؟ .. هل أتصل بالعيادة لأطمئن ؟

لقد مرت خمس دقائق كاملة دون أن أتصل بالعيادة .. لذا سأتصل .. ربما هناك أخبار جديدة .

وفجأة سمعت جرس الهاتف .

أخيراً!!!!!!!!!!!!!!

فيما مضى كنت أتضايق من صوت رنين الهاتف وأراه مزعجاً .. أما الآن فأنا سعيد بسماع صوته .. أشعر أنه سيمفونية رائعة .

جرس الهاتف يعنى أخباراً جديدة .. هناك من يتصل بى الآن .. ربما يكون (وائل) الممرض .. ربما يريد إخبارى أن مريضاً جاء إلى العيادة .

- آلو .. (وائل) ؟

أعذب ضحكة سمعتها فى حياتى ثم أجمل صوت فى العالم و ..
- لا .. (نادين) .

5 - قلبى ..

اعتصرت السماعه بكل حب وأنا أقول بعد تنهيدة طويلة :

- يا!!!!!!!!!!!!!!

قالت (نادين) بصوتها الذى يزداد عذوبة فى كل ثانية :

- (ياسين) .

لم أستطع الرد .. قلبى يخفق بقوة .. بسرعة رهيبه .. أسمع دقاته العاليه .. لا بد أن جيرانى يسمعونها .. لا بد أنهم سيطلقون بابى ويسألوننى (ما هذه الضجة ؟!) سأجيبهم (إنها دقات قلبى العاشق) .

- نعم .

- ما بك ؟

- قلبى يخفق بقوة .. لو مُت الآن سأكون سعيداً لأن صوتك هو آخر صوت أسمعه فى هذه الحياة .

أتانى صوتها الملائكى الجميل العذب وهى تقول :

- لا تقل هذا .. بعد الشر عليك .

- كيف حالك يا حبيبتي ؟

- الحمد لله .

- افتقدتك جداً .

- وأنا افتقدك أكثر .

- لا .. أنا أكثر .

- لا .. أنا أكثر .

قلت لها ضاحكاً :

- هاتي المسطرة و لنقص .. ونعرف أيننا أكثر .

وصلتني ضحكتها الجميلة عبر الهاتف .. قلبي يخفق بعنف

مجدداً .. قلبي لا يتحمل كل هذه السعادة المفاجئة بعد قرون من

الاكتئاب .

- أخبرني .. ماذا فعلت في رحلتك ؟ هل قابلت أبى ؟

أخ ! ماذا أخبرها ؟ .. طبعاً لن أخبرها بوفاة أبيها .. لا أستطيع

إخبارها هذا الخبر المحزن .. فنتعرفه من أحد غيرى .. أنا لا أريد

أن يخبرها أحد به فهل أخبرها أنا ؟! بالطبع لا .

سألتني مرة أخرى :

- هل قابلت أبى ؟

خشيت أن يتسلل الشك إليها بسبب تأخرى فى الإجابة لذا قلت :

- لا .. لم أستطع مقابلته .. لقد سافر لدولة أخرى فى رحلة عمل .

- ولماذا لم تفكر فى الاتصال به ؟

- فكرت فى ذلك .. لكن ..

- لكن ماذا ؟

- لقد رأيت أن الاتصال لن يكفى .. لايد أن أقابله بنفسى

لأستطيع إقناعه .. ولكنهم فى العمل رفضوا إعطائى أى معلومات

عن رحلته .. أو وسيلة للاتصال به .

لم أسمع صوتها .. سمعت صوت أنفاسها الدافئة فشعرت

بحرارتها تصلنى عبر الهاتف .. قلت :

- (نادين) .. لا تقلقى .. سأفعل المستحيل لاستعادتك .. أنا

أحبك و لن أحب غيرك .

قالت لى أجمل جملة يمكن أن أسمعها فى حياتى :

- و أنا أحبك جداً يا (ياسين) .

قلبي اللعين ! أشعر أني سأموت الآن .. قلبي لن يتحمل كل هذا الحب .. اهدأ يا قلب .. اهدأ .

(نادين) .. أميرتى .. الملاك البريء .. خطيبتى السابقة .. حبيبة قلبي .. قادرة على قتلى بمنتهى السهولة .. وعبر الهاتف .. جملة من لسانها العذب يمكنها أن تقضى على قلبي المحب الضعيف أمامها .

نظرة حب دافئة من عينيها قادرة على تمزيق قلبي وإسالة دمه .. ضحكة من شفثيها الرقيقتين قادرة على إذابة قلبي و إذابتى شخصياً .

أميرتى تقتلنى مع سبق الإصرار والترصد .. وأنا أموت عشقاً فيها بكل سعادة .. أحب الموت على يديها .. على عينيها .. على صوتها .. أحب الموت فيها وبها ولها .

- (ياسين) .. أين أنت ؟

استعدت أنفاسى و قلت :

- شعرت أن روحى ستفارق جسدى .. (نادين) .. من فضلك توقفى عن قتلى بكلامك الجميل .

ضحكت ضحكة صافية دافئة .. احترق قلبي من لهيبها .. ثم قالت :

- أنا لم أقل شيئاً .. لقد قلت الحقيقة .. قلت (أنا أحبك جداً) .

قلبي ! قلبي ! .. اهدأ يا قلب .. قلت لها :

- أنتِ تفعلينها مجدداً .. أنتِ مصرة على قتلى إذن .. فأنتِ تعلمين أن قلبي الواهن الضعيف لن يتحمل هذه الجملة .

ضحكت قائلة :

- سلامة قلبك .

ثم فجأة قالت بصوت هامس سريع :

- مضطرة لإنهاء المكالمة الآن .. أشعر أن أمى استيقظت .. حاول الاتصال بأبى .. اقنعه بأمر زواجنا .. أنا لم أتحدث معه منذ زمن و لكن أمى تقول أنه موافق على قرارها .. و لكنى لا أصدقها .. وأخشى أن أتحدث معه فأكتشف أنه موافق بالفعل .

حزنت لأنها لا تعرف الحقيقة .. وتعيش مع وهم وجود أبيها على قيد الحياة .. قالت :

- أمي استيقظت بالفعل .. سلام الآن .

- سلام .

وضعت السماعة وأنا لا أدري ماذا أفعل .. أنا مستعد لفعل المستحيل من أجلها .. من أجل الزواج منها .. ولكن المشكلة أنني لا أعرف ما هو هذا المستحيل .

ما الذى يمكننى - أو لا يمكننى - فعله لاستعادتها ؟

* * *

« لم يأت أحد »

سمعت هذه الجملة للمرة السابعة والخمسين بعد المائة الثانية .. قلت لـ (وائل) :

- هذا هو اليوم الخامس .

- أعلم يا دكتور .

ثم سألتنى بملل :

- هل تحب أن أتصل بالمرضى ؟

- لا .

- ولكن يا دكتـ ...

ثم بتر جملة فجأة .. كان ينظر خلفى مباشرة و شيئاً ما جذب انتباهه وجعله يتوقف عن الحديث .. ثم سمعت صوت أنثوى هادئ اعتدت سماعه كثيراً .. ولكنه غاب عني منذ زمن .

التفت لأرى صاحبة الصوت و التى قالت مبتسمة :

- كيف حالك يا د. (ياسين) ؟

* * *

6 - وجه من الماضي ..

كانت هي .. لم أصدق نفسي في البداية .. اقتربت منها وقلت
بترحاب :

- أهلاً .. كيف حالك ؟

ابتسمت قائلة :

- الحمد لله .. بخير .. كما ترى .

رحب بها (وائل) و قال بسعادة :

- نورت العيادة .

قالت مبتسمة :

- هل تتذكرني ؟

- نعم .. أتذكرك جيداً .. وحتى لو كنت نسيته فزيارتك لنا
اليوم بمثابة عيد .

يبدو أن (وائل) كان يستعد للتحدث عن حال العيادة السيئ
وأنها أول زبونة تأتي بعد عودتي من السفر .. فقد قال :

- أتعلمين أنك أول زبونة تأتي إلى العيادة

قاطعتها قائلاً :

- (وائل) يقصد أنك أول زبونة تأتي إلى العيادة ويكون اسمها
(ماجدة) .

- لا يا دكتور .. أنا أقصد أنها ..

قلت له بصوت هامس :

- أنا أفهم قصدك جيداً .. ومن الأفضل أن تصمت .

سألتني وهي تنتظر إلى المقاعد الخالية في صالة العيادة :

- هل يمكنني الدخول الآن .. أم إنك تنتظر حالة ؟

ابتسمت قائلاً :

- لا .. يمكنك الدخول .

ودخلت على الفور بمجرد سماعها جملتي ..

إنها السيدة (ماجدة) .. سيدة الأحلام .. الفراشة السوداء ..
التي لم تعد سوداء .. صارت فراشة بيضاء .. تركت ملابسها

السوداء التي اشتهرت بها .. وأصبحت ترتدى ملابس بيضاء ..
مثل ذلك الفستان الذى ترتديه الآن .

كانت مشكلتها الدائمة أنها تحلم وتعتقد أن أحلامها تتحقق
وكانت بالفعل تتحقق .. ولكنها تتحقق بفعل فاعل .

آخر أخبارها أنها سقطت فى غيبوبة .. بعد حادث السيارة . (*)
ولقد تركت لى رسالة تخبرنى فيها بحلم موتها .. لقد حلمت
أنها ستموت بعد سقوطها فى الغيبوبة .. وها هى خرجت من
الغيبوبة وعادت لعالمنا .. لم تمت .
لم يتحقق حلمها الأخير .. حلم موتها .

* * *

سألتنى :

- هل كنت تعلم ؟

- لا .. لقد علمت فقط أنك سقطت فى غيبوبة عميقة .. ولم
أسمع أى أخبار عنك بعدها .

(*) راجع العدد الرابع : (حالة الفراشة السوداء) .

- ولماذا لم تسأل عنى ؟

لم أرد .. فسألتنى :

- هل قرأتها ؟

- ماذا ؟

- الورقة التى كتبت فيها حلم موتى .

- نعم .

- ولهذا لم تسأل عنى .. لأنك توقعت أن أموت أثناء الغيبوبة ..

كما حلمت .

..... -

- هل يعنى هذا أنك افترضت أن أحلامى تتحقق ؟

ضحكت قائلاً :

- وهل تعتقدى أن حلم موتك قد تحقق ؟

قالت بعناد :

- تحقق جزء منه .. لقد صدمتنى سيارة ثم ..

- ربما وقفت أمام السيارة متعددة التحقق حلمك

- أنا لم أفكر فى الانتحار يا دكتور .. وإذا كنت تعتقد أننى تعمدت ذلك فماذا ستقول عن الغيبوبة ؟!
- قلت لها وقد شعرت أن تفكيرها لم يتغير :
- هل هذا النقاش الحاد يعنى أنك مازلت مصرة على رأيك وتدافعين عن أحلامك وعن حاستك الخارقة ؟
- استرخت على الشيزلونج وقالت بهدوء شديد :
- لا .. لم أعد أهتم .. وليست كل أحلامى تتحقق .. والدليل أننى مازلت حية أرزق ولم يحدث لى ما حلمت به .
- جميل .. لقد اعتقدت للحظات أنك لم تتغيرى .
- لا .. لقد تغيرت .
- أشرت إلى ملابسها البيضاء ثم سألتها ضاحكاً :
- وأين اللون الأسود ؟!
- ضحكت ضحكة صافية وقالت :
- اللون الأسود ! يااه .. لا أعلم ما الذى كان يعجبنى فى هذا اللون الكئيب .. لقد كنت عجيبة حقاً فيما مضى .

- قلت بسعادة :
- من الواضح فعلاً أنك تغيرت .
- نعم تغيرت .. فيما مضى كنت أعشق اللون الأسود جداً .. أما الآن فأكرهه جداً .. لقد تخلصت من جميع ملابسى السوداء .. لم أعد أريد ارتداء الأسود مرة أخرى .. حتى إننى أذهب إلى العزاء بملابس ملونة .. تخيل !
- ضحكت قائلاً :
- يمكننى التخيل .
- ثم سألتها باهتمام :
- وما الذى غيرك ؟
- شردت قليلاً ثم قالت :
- لا أعلم بالضبط .. ولكنى عندما خرجت من الغيبوبة شعرت أننى ولدت من جديد .. قررت أن أعيش حياتى .. أتمتع بها .. سأترك كل ما مضى خلفى .. لن أترك نفسى حبيسة لأحلامى .. وتذكرت ما قلته لى خلال الجلسات .. كلامك - رغم عدم اقتناعى

بها وقتها - كانت هي الحافز لى لتغيير نظرتى للحياة .. لذا أعتقد أن إجابة سؤالك هي (أنت) .. أنت سبب هذا التغيير يا دكتور .
سعدت بجملتها الأخيرة .. لقد أعادت لى ثقتى بنفسى .. تلك الثقة التى أوشكت على فقدانها بسبب غياب المرضى عن العيادة .. قلت لها مبتسماً :

- أعتقد أن الإجابة هي (الغيوبة) .. الغيوبة هي سبب التغيير .
ضحكت قائلة :

- لو أن الغيوبة هي السبب فقد عرفنا طريقة علاج جديدة ..
ولقد جاءتني الغيوبة بعد حادث السيارة .

استمرت فى الضحك و أكملت :

- ما رأيك .. اصدم كل مرضاك بسيارتك حتى يتغير حالهم إلى الأحسن ؟

لم أضحك أو ابتسم لدعابتها الثقيلة .. أما هي فأكملت ضاحكة :

- و لكنك لن تصدمهم طبعا .

فكرت أن أبتسم هنا ولكنى لم أستطع .. لكنها أكملت بسخرية لاذعة :

- أنت تصدم خطيبك فقط .

آه من تلك الفراشة .. مازالت تتذكر أنى صدمت خطيبتى (نادين) بسيارتى .. يبدو أن الغيوبة لم تؤثر على ذاكرتها .. ولكنها لا تعلم أنها لم تعد خطيبتى .. لا تعلم بأمر فسخ الخطوبة .

سألتنى باهتمام :

- كيف حالها الآن ؟

أجبته باقتضاب :

- بخير .

سألتنى بسخرية قاسية :

- هل صدمتها مؤخراً ؟

أجبته محاولاً كتمان غيظى :

- لا .

قالت محاولة تصنع الدهشة :

- غريبة ! هل نسيت ؟!

- !

- يجب أن تتذكر دائماً أن تصدم خطيبك بين الحين والآخر .
أظهرت لها عدم إعجابى بدعابتها السمجة .. ولكنها لم تهتم
برد فعلى .. وسألتنى بسخرية :

- كم مرة صدمتها بسيارتك حتى الآن يا دكتور ؟

* * *

انتهت الجلسة .. لا يمكن اعتبارها جلسة علاج .. لقد كانت
جلسة ودية .. لأن السيدة (ماجدة) لم تعد مريضة .
لقد انتهت حالة سيدة الأحلام إلى الأبد .. والدليل أننى عندما
سألتها :

- هل تخلمين ؟

أجابتنى بهدوء :

- لم أعد أحلم .

بعد خروجها من عيادتى .. دخلت غرفتى وجلست خلف

مكتبى .. أفكر فى حال العيادة الخالية .. وأسئلة كثيرة تعصف
بعقلى محاولة العثور على إجابة كافية شافية .
أين المرضى ؟ لماذا لا يأتون ؟ هل أخبرهم أحد أننى مت ؟ !

* * *

- كيف حال العيادة يا د. (ياسين) ؟

- بأفضل حال يا د. (ريهام) .

- هل اتصلت (نادين) ؟

- نعم .

- حقاً ؟ !

* * *

« لقد خُصدت يا دكتور »

قالها (وانل) فى اليوم السادس بعدما قال جملته الشهيرة (لم
يأت أحد) .. ثم سألتنى مجدداً :

- هل أتصل بالمرضى ؟

- لا .

* * *

Looloo

www.dvd4arab.com

« لم يأت أحد »

قالها (وائل) للمرة الرابعة والستون بعد المائة الثالثة بعد الألف الخامسة بعد المليون .. كان يقوم بتبخير العيادة عندما سألتني مجدداً :

- هل أتصل بالمرضى ؟

- لا .

- ولكننا فى اليوم الثامن .

قلت ودخان البخور يكاد يخنقنى :

- أعرف .

* * *

- لم يأت أحد .

- أصبحنا فى اليوم العاشر .

- هل أتصل بالمرضى ؟

- لا .

* * *

- كيف حال العيادة يا د. (ياسين) ؟

- كيف حال عيادتك أنت يا د. (ريهام) ؟

أجابت بضيق :

- الوضع سيئ .

- كيف ؟

- فى البداية كان هناك عدد بسيط من المرضى .. أما الآن

فالحال تدهور تماماً .. ففى الأيام السابقة لم يأت أحد .

كدت أقول لها (الحال من بعضه) لكنى فضلت الصمت .. وكتمت

ضحكة ساخرة مريرة عندما سمعت (لم يأت أحد) منها .. فهذه

الكلمات الثقيلة أسمعها كثيراً جداً هذه الأيام .. ثم فوجئت بها

تقول بابتسامة إعجاب :

- أما عيادتك فبالتأكيد مزدحمة عن آخرها .

اكتفيت بالصمت .

لا تعليق .

* * *

فى اليوم الرابع عشر .. قال (وائل) :

- هل أتصل بالمرضى ؟

-

* * *

فى اليوم السادس عشر .. قلت :

- اتصل يا (وائل) .

* * *

7 - آلووووووووو ..

طلبت من (وائل) أن يتصل بالمرضى ويخبرهم بعودتى ولكن دون إحراج لأى مريض أو لى .. بمعنى أن يخبر المريض فقط وألا يخبر أحداً غيره .. وألا يخبره أنى صاحب فكرة الاتصال به .

كثير من المرضى لا يحبون أن يعرف أحد حقيقة أنهم يذهبون إلى عيادة طبيب نفسى .. لست فى العصر الذهبى الذى يعتبر فيه الذهاب إلى عيادة طبيب نفسى موضحة ورفاهية .. لذا حذرت (وائل) كثيراً ونبهته لهذه النقطة ..

وتركت الباقي لذكائه .

* * *

- آلو .

- آلو .

- الأستاذ (وفيق وفقى) ؟

- من حضرتك ؟

- أنا (وائل) .

- (وائل) من ؟

- (وائل السيوى) .

- (وائل السيوى) من ؟

- هل تريد اسمى كاملاً ؟

- من أنت ؟ ولماذا تتصل ؟

- هل أنت الأستاذ (وفيق وفقى) ؟

- لا .. أنا (عمرو) أخوه .

- أهلاً يا أستاذ (عمرو) .. وأين الأستاذ (وفيق) ؟

- ليس هنا الآن .

- حسناً .. سأتصل به فيما بعد .

- أخبرنى بالموضوع وسوف أبلغه به .

- لا .. شكراً .

* * *

- آلو

- آلو

- هل الأستاذة (نجوى) موجودة ؟

- من أنت ؟

- أنا (وائل) .

- وماذا تريد يا سى (وائل) ؟

- أريد التحدث مع الأستاذة (نجوى) .. هل هى موجودة ؟

- (نااااااااا) .. يا (نااااااااا) .. يا (نااااااااا) .. هل

تعرفى أحداً اسمه (وائل) .. آه .. هذا اسمه .. يقول أن اسمه

(وائل) .. لا .. حسناً .. اذهبى أنت .. يا (وائل) .. يا (واااااااااا) .

- نعم .. نعم .

- الرقم خطأ .

- ماذا ؟

- أقول لك (الرقم خطأ) .

- هل الأستاذة (نجوى) موجودة ؟

Looloo

www.dvd4arab.com

- نعم .. وهى لا تعرفك .

- دعنى أتحدث معها .

- أقول لك أنها لا تعرفك فكيف تريد التحدث معها ؟

- قل لها أننى من طرف الدكت .. أأ .. حسنا .. لا شىء ..

معك حق .. الرقم خطأ .. آسف .

* * *

- هل أنت الأستاذ (وفيق وفقى) ؟

- نعم .. أنا هو .

- حسنا .. أنا (وائل) .. الممرض فى عيادة د. (ياسين

العوضى) .

- د. (ياسين العوضى) من ؟

- ماذا ؟ ألا تعرف د. (ياسين العوضى) ؟

- لا .. لم أسمع هذا الاسم من قبل .

- هل أنت الأستاذ (وفيق وفقى) ؟

- لا .. أنا (عمرو) أخوه .

- يا أستاذ (عمرو) .. طالما أنك (عمرو) وليس (وفيق) ..

لماذا قلت أنك (وفيق) ؟

- لكى أعرف سبب اتصالك المتكرر .. من هو د. (ياسين

العوضى) هذا ؟

* * *

- آلو .

- آلو .

- هل الأنسة (سمية) هنا ؟

- من أنت ؟ وكيف تعرف (سمية) ؟

- هل هى هنا ؟

- أخبرنى أولاً من أنت .

- هل أنت والدتها ؟

- انطق .. تكلم .. من أنت ؟

- آلو .

- الأستاذ (وفيق وفقي) ؟

- نعم .

- حضرتك الأستاذ (وفيق وفقي) ؟

- نعم .. أنا هو .. أى خدمة ؟

- يا (عمرو) كفى مزاحاً .. وابعث لأخيك لأتحدث معه .

- أنا لست (عمرو) .. أنا (وفيق) .. هل تريد التحدث مع (عمرو) ؟

- لا .. أنا أريد التحدث مع (وفيق) .

- حسناً .. تفضل .

- هل أنت الأستاذ (وفيق) ؟

- نعم .

- لا .. أنت (عمرو) .. لن نخدعنى ثانية .

- يا عم .. أنا (وفيق) .

- حسناً .. وأنا (وائل) .

- (وائل) من ؟

- دعيني أكلمها .

- أخبرنى أولاً من أنت .. انتظر .. أنا عرفتك .. أنت الولد

(عمر) ابن (عطيات) جارتنا .. أنا أعرف صوتك .

- لا .

- تبقى (حمادة) ابن (مشيرة) !

- هل هى موجودة ؟

- لا .. ليست هنا .. وإياك أن تتصل هنا مرة أخرى .. واعلم

أنى سأبلغ أمك بتصرفك هذا .

- أنا لست (حمادة) ابن (مشيرة) .

- من أنت اذن ؟

- أنا (وائل) يا حاجة .

- آه .. تبقى (وائل) ابن (شوقية) .

* * *

- آلو .

- متأكد أنك (وفيق) ١؟

- نعم .

- حسنًا .. أنا (وائل السيوى) .. الممرض فى عيادة

د. (ياسين العوضى) .

- أهلاً وسهلاً .

- هل عرفتني ؟

- طبعا .

- آها .. أنت حقاً الأستاذ (وفيق وفقى) !

- نعم .. هذا ما قلته لك .

- حسنًا .. يسعدني أن أبلغك أن د. (ياسين العوضى) عاد من

الخارج بحمد الله .

- حمداً لله على السلامة .

- الله يسلمك .

- وبعد ... ؟؟

- أنا أتصل لكى أخبرك بعودته .

- حسنًا .

- ألن تأتي ؟

- أين ؟

- العيادة .

- لا .. لا أظن .

- لماذا ؟

- أنا حر .. لن أدخل عيادته مرة أخرى أبداً .

* * *

« لم يأت أحد »

قالها (وائل) ليصدمنى بها كالعادة .. يبدو أنه أصبح يستمتع
بقولها لى .. قلت له بغيط :

- يا (وائل) .. غير الجملة .

- أى جملة ١؟

- جملة (لم يأت أحد) .. لقد مللت من هذه الجملة .. قل مثلاً

- لابد أن أقلق .. لم يكن من المفروض أن نتصل بالمرضى .

قال (وائل) محاولاً إقناعي :

- طالما أن المريض أعطانا رقم هاتفه فهذا يعني أنه يتوقع اتصالنا في أي وقت .

- من المفروض أن نكون أكثر حرصاً على خصوصية المرضى .

- يا دكتور .. أي طبيب يمكنه الاتصال بمرضاه ليطمئن على حالهم .

- الطبيب النفسى يختلف عن بقية الأطباء يا (وائل) .

- على أي حال .. لم تسفر الاتصالات عن شيء حتى الآن .. معظمهم اعتقد أنى أعاكس و آخرون رفضوا التحدث وهناك من رفض المجيء .. وبعضهم قالوا أنهم سيأتون ولكن لم يأت أحد منهم بعد .

- بمن اتصلت ؟

- بهم جميعاً .. أقصد بكل من لدينا رقمه طبعاً .

(لم يتصل أحد) وسوف أفهم مقصدك .. قل مثلاً (لم أر أحداً) .. أو (لم يفكر أحد فى الحضور) .

- كما تريد يا دكتور .. ولكن إذا جاء مريض ماذا أقول ؟

قلت ضاحكاً بغیظ :

- قل (أحدهم فكر فى الحضور) .

سألنى ببرود :

- ما هو ترتيب هذا اليوم بالنسبة ليوم عودتك ؟

تجاهلت إجابة سؤاله السمج و سألته متردداً :

- هل اتصلت بالمرضى ؟!

أجابنى بثقة :

- نعم .

تمنيت أن يقول (لا) لأنى متضايق من الفكرة .. فسألته بقلق :

- وما الذى حدث ؟ أتمنى أن تكون قد أحسنت التصرف .

أجابنى قائلاً بثقة كبيرة :

- لا تقلق يا دكتور .

- هل اتصلت بـ (وحيد أباطة) و (نبيل الشرقاوى) و (راجى شاهين)؟ (*)

- نعم .. لقد اتصلت بالجميع .

سألته بقلق :

- هل اتصلت بالمريضات ؟

- نعم .

صحت بغضب :

- لماذا ؟ ألم أطلب منك ألا تتصل بالمريضات ؟

- أسف يا دكتور .. ولكنى فكرت فى الاتصال بالجميع حتى يأتى أكبر عدد ممكن من المرضى .

ولكن .. لم يأت أحد !

* * *

فوجئت بزيارة أخرى من سيدة الأحلام ..

(*) راجع العدد السادس : (حالة فوبيا) .

كانت هذه هى زيارتها الثانية لعيادتى بعد عودتى من السفر .. لكن عيادتى لم يدخلها أحد من المرضى منذ ذلك الحين .. لذا صارت (ماجدة) هى مريضتى الوحيدة .

سألتها مندهشاً :

- ماذا حدث ؟ هل عدت تحلمين مجدداً ؟

ضحكت قائلة :

- لا يا دكتور .. إنها زيارة ودية .

- ودية ! هل خرجت من شقتك لى تزورينى زيارة ودية فى

عيادتى ؟

ضحكت قائلة بغموض :

- يبدو أن الأخبار لم تصلك بعد .

سألته بقلق :

- أى أخبار ؟

ابتسمت قائلة بمرح :

- خمن .

- لا أستطيع التخمين ولا أستطيع التفكير فى أى شىء الآن .

- حسناً .. سأخبرك .

- تفضلى .

نظرت لى بغموض و قالت :

- لقد أصبحت ..

ثم توقفت .. يبدو أنها عادت لطبيعتها القديمة فى التوقف أثناء

الحديث .. فهى تهوى إثارة المستمع إلى حديثها .. قلت لها كاتمًا غيظي :

- أصبحت ماذا ؟ أكملنى .

قالت بمنتهى السعادة :

- لقد أصبحت جارتك .

8 - الجارة ..

لقد أخبرتنى السيدة (ماجدة) أنها صارت جارتى .. لأن شقتها فى نفس العمارة التى بها عيادتى .. وهكذا يمكنها الصعود لعيادتى فى أى وقت .

السيدة (ماجدة) ثرية جداً .. وأعتقد أنها دفعت الكثير لكى تحصل على شقة فى هذه العمارة .. العمارة التى بها عيادة طبيبها النفسى .. أرادت أن تكون جارتى مع سبق الإصرار والترصد . استرخت على الشيزلونج وتأملت الغرفة بعيون أنثوية دقيقة وقالت بذكاء :

- أعتقد أننى آخر واحدة دخلت هذه الغرفة .. أين كنت فى الأيام الماضية يا د. (ياسين) ؟ لماذا لم تفتح عيادتك ؟

- بل فتحتها .

- إذا كانت عيادتك مفتوحة فهذا يعنى أنك لم تستقبل مرضى فيها بعدى .

فوجئت بصمتي الرهيب .. فقالت مندهشة :

- ما هذا ؟ تخميني صحيح ! ولكن كيف ؟ إن عيادتك لم تخلو أبداً من المرضى .

ثم تذكرت شيئاً فقالت :

- ولهذا عندما سألتك اليوم (أين المرضى ؟) أجبتني بـ (لم يأت موعدهم بعد) .. ولقد حدث هذا في المرة السابقة أيضاً ..
أيعني هذا أن عيادتك بلا مرضى منذ زمن ؟
سألتها :

- كيف وصلت لهذا التخمين ؟

نظرت حولها وقالت مندهشة :

- كل شيء في الغرفة كما تركته آخر مرة .. وكأن الغرفة أغلقت بعد خروجي منها مباشرة وفتحت اليوم .. ولكن كيف هذا ؟ ما الذي حدث ؟

أطلقت زفرة طويلة وقلت :

- عندما عدت من السفر توقعت أن أجد مرضى ينتظرونني ..
لكن يبدو أنهم لم يعلموا برجوعي بعد .

- لا تقلق .. سأخبر صديقاتي عنك وسوف يخبرن صديقاتهن .. سوف أملاً لك هذه العيادة بالزبائن إن شاء الله .
- لا تشغلي بالك .

- دعني أرى لك الجميل يا دكتور .

ثم ابتسمت وقالت :

- أتعلم ؟ هذا من حسن حظي .. الآن يمكنني أن أجلس معك جلسات طويلة جداً دون الخوف على مواعيد المرضى الآخرين ..
سأكون مريضتك الوحيدة .

نهضت من مقعدي قائلاً :

- لا .. إذا صار حال العيادة هكذا دون أى تقدم سوف أغلقها .
صاحت منزعة :
- ماذا ؟

- نعم .. سوف أغلقها .. فأنا لا أدفع إيجارها لكي يجلس فيها
(وائل) طوال اليوم منتظراً المرضى دون فائدة .. سوف أغلقها
وأفتح عيادة في منطقة أخرى .

- هل أعجبتك ؟

- نعم .

ثم سألتني وفي عينيها نظرات غيرة أنثوية :

- هل د.(سالى راغب) هى التى اختارتها لك ؟

ضحكت قائلاً :

- لا بالطبع .. أنا لا أعرف د.(سالى راغب) أصلاً .. فكيف

تختار العيادة لى ؟

قالت مندهشة :

- كيف لا تعرفها وأنا رأيتها خارجة من عيادتك الآن ؟

خارجة من عيادتي الآن .. كيف ؟ لم يخرج من عيادتي الآن
سوى السيدة (ماجدة) !!! هل هذا معقول ؟ هل د.(سالى راغب)

هى !!!

هل ؟

* * *

هبطت الدرج بسرعة حتى وصلت لشقة السيدة (ماجدة) .. ثم

طرقت بابها .

قالت بحزن :

- أتغلقها بعدما صرت جارتك ؟ .. أرجوك لا تفعل هذا .. ولا

تقلق .. سوف تمتلئ عيادتك بالمرضى خلال أيام إن شاء الله .

* * *

بعد خروج جارتى الجديدة .. السيدة (ماجدة) .. فوجئت بجارة
أخرى تزورنى فى عيادتى لأول مرة .. يبدو أن اليوم هو اليوم
العالمى لزيارة الجيران .

الزائرة كانت جارتى الأخرى .. د.(ريهام بهجت) .

عيادة د.(ريهام) فى نفس العمارة التى بها شقتى .. أما شقة
السيدة (ماجدة) فى نفس العمارة التى بها عيادتى .

قالت د.(ريهام) وهى تتأمل عيادتى :

- جميلة جداً .

قال (وائل) مبتسماً بغموض :

- (أحدهم فكر فى الحضور) .

تجاهلت جملمته (الكود السرى) .. وسألتها :

كنت أعرف شقتها فهي أعطتني رقمها على أمل أن أزورها
أو أنزل لها إذا احتاجتني واتصلت بي هاتفياً .. فتحت الباب لى
قائلة بسعادة :

- أهلاً يا دكتور .. لم أتوقع زيارتك لى بهذه السرعة .. أهلاً
بك فى شقتى الجديدة .. تفضل .

سألتها على الفور دون الاهتمام برد تحيتها :

- لماذا ادعيت أنك د. (سالى راغب) ؟

- أنا لم أدع .. أنا اسمى فعلاً (سالى راغب) .. اسم تدليل ..
اسم شهرة .. أما اسمى الحقيقى (ماجدة راغب) .

- ولكنك لم تخبرينى بهذا الاسم من قبل .

- لا .. لقد أخبرتك به فى أولى جلسائنا ولكن يبدو أنك قد
نسيت .

الآن فهمت .. لقد سمعت اسمها من قبل نسيته .. ظل مختبئاً
فى ذاكرتى و خرج فى الحلم .. حلمت باسمها .. سألتها :

- وما حكاية (دكتورة) هذه ؟ هل أخبرتنى أيضاً أنك طبيبة

ونسيت ؟

ضحكت قائلة :

- لا .. هذه كذبة .

- ولماذا كذبت ؟

- كنت أسأل عنك .. فأخبرتني د. (ريهام) أنك مسافر .. فأردت
أن أعرف إلى أين .. فادعيت أننى طبيبة حتى تعطينى تفاصيل أكثر
عن رحلتك .. لأنى لو أخبرتها أننى مجرد مريضة لم تكن لتعطينى
معلومة واحدة .

تذكرت رسالتها (أحبك يا دكتور) .. وعدت بذاكرتى للوراء
وتذكرت رسالة حلمها الأخير .. عندما كتبت حلم موتها فى ورقة
ثم وضعتها فى مظروف كتبت عليه (لا يفتح إلا بعد وفاتى) .. لقد
كتبت فى الرسالة (ستصدمنى سيارة أمام عينيك .. أسقط بعدها
فى غيبوبة عميقة تنتهى بموتى .. الوداع .. أحبك يا دكتور) .

لقد قالتها من قبل .. قالت (أحبك يا دكتور) .. لو أننى تذكرت
رسالتها السابقة لتذكرت أين رأيت هذا الخط من قبل ولتذكرت
صاحبة هذه الجملة .. سألتها :

- وماذا عن الرسالة التى تركتها ؟

Looloo

www.dvd4arab.com

أشاحت بوجهها خجلاً .. وكأن الخجل لا يزال موجوداً عندها .
 هي الآن مطلقة .. وربما تكون أرملة .. إذا تم إعدام زوجها
 بسبب جرائم القتل التي ارتكبها .

هي الآن امرأة وحيدة .. بعد موت عمته السيدة (نرجس) التي
 كانت تعيش معها .

بالتأكيد تعاني من الوحدة .. وربما فكرت في الزواج .. وربما
 فكرت في اختيار عريس مناسب لها .. وربما فكرت في الـ ...
 لن أشغل بالي .

لقد زال الغموض عن الرسالة وصاحبة الرسالة .. أخيراً .
 لكنني لم أكن أعلم أني على أعتاب لغز أكثر غموضاً ..
 أكثر بكثير .

* * *

9 - لغز اختفاء المرضى ..

قالت د. (ريهام) وهي تجلس في صالة عيادتي :

- هل تأكدت من صحة كلامي ؟

ضحكت قائلاً :

- اسمها الحقيقي (ماجدة) أما (سالي) اسم تدليل .

هزت رأسها دلالة على الفهم ثم سألتني بفضول :

- ما هي الرسالة التي تركتها لك د. (سالي) في شقتك ؟

لن أخبرها بأمر الرسالة الغرامية .. قلت :

- لقد كانت بطاقة .. دعوة لفرح .

ثم أكملت :

- وعلى فكرة .. هي ليست طبية .

اندهشت ثم نهضت من مقعدها و سألتني :

- أين مرضاك يا دكتور ؟

وقبل أن اخترع سبباً مقنعاً فوجئت بها تقول بهدوء :

- لقد أخبرنى (وائل) بكل شيء .

كنت غيظى من ذلك الممرض الثرثار .. ثم سألتها :

- أين هو ؟

فى نفس اللحظة ظهر لى وهو يقدم زجاجة مياه غازية كواجب ضيافة قائلاً :

- تفضلى يا د.(ريهام) .. لقد شرفتنا بزيارتك اليوم .

شكرته فأكمل قائلاً :

- اليوم يوم تاريخى .. فقد زارنا اليوم اثنان .. ففى الأيام الماضية كانت العيادة خالية تماماً .. لا يدخل ... قاطعته قائلاً :

- كما تعلمين يا د.(ريهام) .. لقد عدت لتوى من السفر .. والمرضى لم يعلموا برجوعى .

قال (وائل) :

- نعم .. ولذلك اتصلنا بجميع المرضى لكى نـ ...

قاطعته قائلاً :

- (وائل) .. أريدك فى موضوع .

بعد خروج د.(ريهام) من عيادتى .. قابلت جارتى السيدة (ماجدة) على الدرج .. فقالت لها بابتسامة غامضة :

- أهلاً بك يا د.(سالى) ؟

ضحكت السيدة (ماجدة) وقالت :

- بالنظر إلى ابتسامتك .. أستطيع تخمين أن الدكتور قد أخبرك بالحقيقة .

- نعم أخبرنى .. ولكن لدى سؤال : لماذا ادعيت أنك طبيبة ؟

وقبل أن تجيبها سألتها بفضول أنثوى سؤالاً آخر :

- وما هى الرسالة التى تركتها له تحت الباب ؟

- رسالة خاصة .. خاصة جداً .

عرفت د.(ريهام) أن أحداً يكذب .. أنا قلت أنها دعوة فرح وهى تقول أنها (رسالة خاصة جداً) .. لابد أن أحداً يكذب لأن دعوة الفرح لا يمكن اعتبارها رسالة خاصة جداً .

سألتها لنفتح معها حواراً يروى فضولها :

- هل كنت مريضة عند د.(ياسين) ؟

ردت السيدة (ماجدة) بفخر :

- نعم .. ومازلت .

غلب فضولها كطبيبة نفسية فضولها كأنثى فسألتها :

- مم تعانيين ؟

أجابت بكلمة واحدة :

- الأحلام .

- كيف ؟

- أحلم بأشياء شنيعة تتحقق .

- كيف ؟

قالت بحزم :

- لا أحب التحدث فى هذا الموضوع .

- ألا تتقين فى التحدث مع أحد سوى د. (ياسين) ؟

- المسألة ليست ثقة .

- ماذا إذن ؟

- لقد اكتشفت أن أحلامى كانت تتحقق دائما بفعل فاعل ؛ لذا

قررت ألا أخبر أحدا بها حتى لا يقوم أحد بتنفيذها .

قالت د. (ريهام) ضاحكة :

- هل تعتقدين أننى سأقوم بتحقيقها ؟

- لم أقل هذا .. ولكنى سأظل محتفظة بها لنفسى لكى أطمئن

أننى لست السبب فى تحقيقها .

- ولكنك تخبرين د. (ياسين) بها !!

- لم أعد أخبره .. كنت أخبره فيما مضى .. أما الآن فقد أخبرته

أننى لم أعد أحلم .. لقد كذبت عليه حتى يطمئن .. وأرجو ألا تخبريه بهذا الأمر .

- اطمئنى .

كانت د. (ريهام) سعيدة بأنها كسبت ثقة السيدة (ماجدة) .. فها

هى تخبرها بشئ لا يعلمه د. (ياسين) .. طبيبتها النفسى .

سألتها :

- ولكنك تقولين أنك مازلت مريضة عنده وفى نفس الوقت

تخبرينى أنه لا يعلم أن الأحلام مستمرة .. فما الذى تشتكين منه فى جلساتك الحالية معه ؟

- أشكو له من أى شئ آخر .. فالفرد فى حاجة دائمة لطبيب

نفسى .. وأنا أحب أن أكون مريضة عند د. (ياسين العوضى) .

« لم يأت أحد »

قالها (وائل) بهدوء .. فرأى بركان الغضب سينفجر من عيني
فقال بسرعة :

- أقصد .. (لم يفكر أحد فى الحضور) .

وكان تغيير صيغة الجملة سيغير من حالتى النفسية السيئة ..
قلت له :

- لقد مرت ثلاثة أيام على يوم اتصالك .

- أعلم يا دكتور .. وهذا ما يحيرنى .. لقد اتصلت بهم جميعاً
ومع ذلك لم يأت أحد .. حتى الذين قالوا أنهم سيأتون لم يأتوا ..
وكان هناك من يختطف المرضى .. ربما هناك عيادة نفسية فى
الأدوار السفلية فى هذه العمارة .. يقوم الممرض بها باختطاف
مرضانا .. أو ربما يمنعهم من الصعود إلينا .

قلت ساخراً :

- توقف عن مشاهدة الأفلام العربية يا (وائل) .

- صدقتى يا دكتور .. ربما هذا ما يحدث بالفعل .. أو ربما
هناك من يطلق إشاعات سيئة عن عيادتنا فيقتنع المرضى بعدم
الصعود إلينا .

- لكنى لم أر أى عيادة نفسية فى هذه العمارة سوى عيادتنا .

- ربما ليست عيادة نفسية .

- كيف ؟

- هل لك أعداء يا دكتور ؟

- ماذا ؟

- ربما هناك من يريد الانتقام منك فيصدر إشاعات سيئة عنك
حتى لا يأتى مرضى عندك .. إشاعات سيئة مثل إشاعة أنك
تتحرش بالمريضات أو تستغل جنونهن فى ...

قاطعته قائلاً :

- أنا أفهم معنى (إشاعات سيئة) .. لا داعى من شرح أمثلة .
فكرت قليلاً ثم قلت مبتسماً بغموض :

- جاءتنى فكرة .

* * *

10 - فكرة ! ..

« أين عيادة د. (ياسين العوضى) الطبيب النفسى ؟ .. أنا مريض .. وأريد العلاج عنده »

قالها (دهشورى) .. رجل فى الستين من عمره .. مستعد للخدمة وفعل أى شىء مقابل مال .. قلت له بسعادة :

- جيد .

- هل أعجبك يا د. (ياسين) ؟

- نعم .

وضع (وائل) يده على كتف الرجل وقال لى بفخر :

- من بلدنا .

- تشرفنا .

ثم سألت (دهشورى) :

- هل عرفت دورك الذى ستقوم به ؟

- نعم يا دكتور .. سأخرج من بيتنا وسأسأل كل من أقابله عن عيادتك .. حتى أصل إلى هنا .

- بالضبط .

قال (وائل) :

- وخاصة سكان العمارة .. أى شخص تقابله على الدرج اسأله .. هل حفظت السؤال ؟

- طبعًا حفظته عن ظهر قلب .. سأقول « أين عيادة د. (ياسين العوضى) الطبيب النفسى ؟ .. أنا مريض .. وأريد العلاج عنده » .

- بالضبط .. ثم ستخبرنا بعدها بما جرى لك .. من قابلك .. ماذا قالوا لك .. وإذا دعاك أحدهم لزيارة عيادة أخرى .. اذهب معه وأخبرنا - فيما بعد - عن هذه العيادة .. وإذا أخبروك أى شىء سيئ عن د. (ياسين) .. تظاهر بأنك صدقتهم ثم أخبرنا بعد ذلك ماذا قالوا لك .

قلت له :

- باختصار .. تصرف بطريقة طبيعية .. ثم أخبرنا بعد ذلك بما حدث لك .

* * *

« لم يحدث شىء »

قالها (دهشورى) ليزيد الأمر غموضًا .. ثم أكمل :

- جميع من سألتهم دلوني على العيادة .. وأخبروني بالعنوان بالضبط .. بل تبرع البعض لمساعدتي في الوصول لها .

سألته متعجبا :

- ألم يقل لك أحدا أى كلام سيئ عنى ؟ ألم يحاول أحد تلويث سمعتى لك ؟

- بالعكس يا دكتور .. لقد مدحوك .. لقد قالوا فيك شعرا .. إن سمعتك طيبة جداً .

قلت مندهشا :

- غريبة !

يبدو أن الرجل العجوز فهم اندهاشى بطريقة خطأ لأنه قال :

- إذا كنت تريد تلويث سمعتك يا دكتور .. أنا فى الخدمة .

انفجرت ضاحكا .. ثم قلت :

- لا .. شكرا جزيلا .. أنا أحب التمتع بسمعة طيبة .

ثم أشرت لـ (وائل) ليعطيه بقية أتعابه عن دوره البسيط .. دور مريض نفسى يسأل عن عيادتي .

* * *

لا يختطف أحد المرضى .. هذا ما استنتجته من حيلة المريض النفسى .

لكن ..

ربما علم المختطف بأمر هذه الحيلة فترك (دهشورى) .. أو ربما هذا الرجل العجوز يكذب .

لذا فكرت فى تنفيذ الحيلة مرة أخرى مع شخص آخر .. شخص أثق فيه .

لم أجد سوى جارى الأستاذ (زكريا) .

وأمام باب شقته .. رحب الرجل بى قائلاً :

- أهلاً يا د. (ياسين) .. تفضل .

دعانى للدخول لكننى لم أرغب فى ذلك .. كنت متعجلاً ؛ لذا قلت :

- أهلاً بك .. كنت أريد منك خدمة بسيطة يا أستاذ (زكريا) .

أشار إلى عينيهِ بطريقة (من العين دى قبل العين دى) وقال :

- أخبرنى بها .. وسأفعلها إن كنت أستطيع .

- الموضوع سهل وبسيط .. يمكنك فعله .

اطمنن لجملتى .. فأردت أن أطمئنهُ أكثر فقلت :

- أنا لن أطلب منك أن توزع مخدرات أو تقتل أحداً .

ذهبت الراحة والطمأنينة وحل محلها الخوف والقلق والتوتر .. فقلت بسرعة :

- لا أطلب منك ذلك طبعاً .. كل ما أريده هو أن تزورنى فى عيادتى .

وانتظرت لأرى ملامح وجهه .. صمت للحظات ثم سألتى :

- هل ترانى مجنوناً يا د. (ياسين) ؟!

اندهشت لرده العنيف .. يبدو أننى قد نسيت ردود أفعال الناس حول زيارة عيادتى .. قلت له لأزيح سوء الفهم :

- لا .. لم أقل ذلك .. كل ما أريده هو أن تشربنى بالزيارة .. نشرب فنجان قهوة أو كوب شاي أو عصيراً .. كما تريد .. نتحدث قليلاً .. ثم تغادر .

صاح منزعجاً :

- نتحدث !! هل هى جلسة علاج ؟!

- لا .. لا .. حسناً .. لا داعى من الحديث .. نشرب المشروب وتغادر على الفور .

ظهرت الدهشة عليه وقال :

- فلنشربه فى شقتك ولو تريد التحدث يمكننا التحدث فيها .. أو هنا .. عندى فى شقتى .. تفضل يا دكتور .

وجذبني لأدخل .. لكنى قاومت وقاومت .. وظللت خارج شقتي .. قلت :

- أنا أريدك أن تزورنى فى عيادتى .. هذا كل ما أريده .. بلا مشروب وبلا حديث .. ما رأيك ؟

- لماذا ؟

يبدو أنه لن ينفذ طلبى بسهولة .. لا بد أن يقتنع أولاً .. فكرت قليلاً ثم ..

- أريد أن أنال شرف زيارتك لى .. ولكى تعطينى رأيك فيها .. رأيى !!

- نعم .. رأيك فيها يهمنى جداً ، لذا أنتظر زيارتك .

- ولكن ..

لأقطع أى محاولة جديدة للاستفسار قاطعته قائلاً :

- سأنتظرك .

وأخبرته بعنوان العيادة .

رحب (وائل) بالأستاذ (زكريا) بحرارة شديدة .. كان يعتقد أنه مريض .. لكنى أخبرته أنه جارى الذى

الأمر الغريب أن الأستاذ (زكريا) وصل إلى عيادتي سليماً .. لم يختف .. لم يجد نفسه في عيادة أخرى .. لم يقابل أحداً أثناء رحلته من شقيقته حتى عيادتي .. لم يسمع شيئاً عنى .. لم يحاول أحد تضليله عن العيادة .

لقد زارنى فى عيادتي كما طلبت منه بالضبط .. و فوجئت به يخبرنى برأيه فى العيادة و كأن هذا شىء يهمنى .

* * *

« لم يأت أحد »

* * *

فى المستشفى .. تحدثت مع صديقى د.(مجدى صادق) و ..

- كيف حالك يا د.(مجدى) ؟

- الحمد لله .. كيف حالك أنت يا رجل ؟

- بخير .. كيف حال عيادتك ؟

- الحمد لله .

سألته بطريقة مستفزة :

- هل يأتيك مرضى ؟

- طبعاً .. وفى ازدياد مستمر .

- ما شاء الله .

- وأنت ؟

شعرت أن قول الحقيقة سيكون شيئاً مخجلاً جداً .. فاكثفت بقول :

- الحمد لله .

* * *

اتصلت بأكثر من طبيب نفسى .. وكانت الإجابات صادمة .. حالهم جيد .. بل جيد جداً .. بل ممتاز .. لقد كنت أشك أن الحالة السيئة عند الجميع لكن اتضح لى أن عيادتي فقط هى التى تمر بظروف سيئة للغاية .

اكتفيت بالاتصال .. لأنى شعرت أن زيارتى لعياداتهم ستجعلهم يشكون فى الأمر وربما يعرفون وقتها كل شىء بخصوص عيادتي .

ما هذا ؟! ما الذى يحدث بالضبط ؟ وكيف أتصرف ؟

ربما لا يعرف مرضاى بأمر عودتى .. لا .. لا .. لا .. لقد اتصل (وائل) بهم ..

أو هذا ما أخبرنى به .. ربما لم يتصل .. ولكن لماذا يكذب ؟ لا أعتقد أنه يكذب .. لقد كان متحمساً جداً للاتصال .. وربما اتصل قبل أن أطلب منه .

ولكن .. هل علم الجميع حقًا بأمر عودتي ؟

ما العمل ؟ هل أنشر خبرا في الجريدة عن وصولي لأرض الوطن بسلامة الله ؟

أو .. أنشر إعلانا عن عيادتي في الجرائد لأيام ؟ ولتكن صيغته مثل :

عيادة د. (ياسين العوضى) للعلاج النفسى .. يخلصك من متاعبك النفسية .. يجعل حياتك أفضل .. د. (ياسين العوضى) فى خدمتك دائما .

العيادة مفتوحة سبعة أيام فى الأسبوع .. ٢٤ ساعة فى اليوم .. ٦٠ دقيقة فى الساعة .. ٦٠ ثانية فى الدقيقة .

الجلسة الأولى مجانا .. خصم ٥٠ ٪ على الجلسة الثانية .. خصم ٢٥ ٪ على الجلسة الثالثة .. هدية قيمة فى الجلسة الرابعة .. زورونا تجدوا لدينا ما يسركم .. أو نزيل عنكم ما يحزنكم .

فكرة جيدة ! .. ربما أطبع كروتا كثيرة وإعلانات ورقية أيضا .. وأوزعها على السائرين فى الشوارع والميادين .. والراكبين فى الأتوبيس والمترو .. إلخ

يا إلهى .. هذا يذكرنى بأيام البداية ..

هل هذا معقول ؟

هل سأعود إلى نقطة البداية بعد الشهرة التى وصلت إليها !!!

* * *

يجلس (وائل) مسترخيا على الأريكة فى صالة العيادة ويشاهد التلفاز .. سألته :

- ما هذا ؟ ألم أخبرك من قبل أننى لا أريد تلفازا هنا ؟

- يا دكتور .. أنا أجلس ساعات طويلة جداً ولا يوجد أى شيء مسلٍ .. أشعر بمثل رهيب .. فيما مضى كنت أتحدث مع المرضى .. أتابع الحالات .. أنتظر خروج الحالة وأدخل الحالة التى بعدها .. أما الآن فالعيادة خالية .. ولا أفعل شيئا سوى الجلوس وحيدا بها .

شعرت بالإحباط من حديثه .. تركته ودخلت غرفتي .. وكأن الصمت دليل على تعاطفى معه وموافقتى على وجود التلفاز فى العيادة .

أما فى اليوم التالى ..

حدث شيء لم أتوقعه .. لقد وجدت العيادة ممتلئة بالمرضى .

* * *

11 - عودة المرضى ..

المرضى .. أخيرًا .

العيادة كانت ممتلئة عن آخرها .. جميع المقاعد مشغولة .. شعرت بسعادة كبيرة .. رغبت أن أجلس وسطهم من أجل التقاط صورة للذكرى وأكتب تحتها جملة (أنا ومرضى) أو (عودة المرضى) أو (المرضى يعودون أحيانًا) .

كانوا جميعًا رجال .. رغبت في احتضانهم جميعًا وشكرهم على الحضور .. لكنني تمالكت نفسي .. لا بد أن أظهر أمامهم بمظهر الطبيب الوقور الذي اعتاد على رؤية المرضى كل يوم في عيادته . اليوم .. العيادة صارت ممتلئة من دون نشر إعلان واحد في أى جريدة .. ومن دون توزيع كارت واحد على أى شخص .. الحمد لله .. لقد عادت العيادة لسابق عهدها .

لكن .. لماذا عادوا فجأة ؟ أين كانوا فى الأيام الماضية ؟

لن أشغل بالى بهذه الأسئلة .. المهم أنهم عادوا .

تأملت وجوههم .. لا أعرف أحدًا منهم .. يبدو أن مرضى القدامى لم يعودوا .

لا ياس .. سأبدأ من جديد مع هؤلاء .
ودخلت غرفتي وانتظرت دخول أول مريض .
انتظرت ..

وانتظرت ..

وانتظرت ..

لم يدخل أحد .. هل نام (وائل) ١٢ أين هو ١٢

خرجت إليه لأطلب منه إدخال أول مريض .. فوجئت بصالة العيادة خالية تمامًا من المرضى .. سألته متعجبًا :

- أين المرضى ؟

فاجئني قائلًا :

- لم يأت أحد .

هل أنا ألهوس ١٢

لقد رأيت مريض .. أنا متأكد أنى رأيت مريض و كانوا يملنون الصالة .. قلت :

- لقد رأيت بنفسى مريض هنا .. أين ذهبوا ١٢

Looloo

www.looloo.com

نهض (وائل) قائلاً بخجل :

- لم يكونوا مرضى .

- ماذا ؟

تردد قليلاً ثم اعترف :

- إنهم أصدقائي .. لقد دعوني إلى مشاهدة المباراة معهم في المقهى فأخبرتهم أنني لا أستطيع ترك العيادة .. ثم اقترحت عليهم أن يأتوا و ..

لم يستطع إكمال جملته من شدة الخجل .. فقلت له :

- أخبرتهم أن العيادة خالية تماماً والطبيب ليس موجوداً .

- آسف يا دكتور .

- لقد حولت العيادة إلى مقهى يا (وائل) .

- آسف جداً يا دكتور .

الآن فهمت سبب انتباههم الشديد للتلفاز .. وسر كونهم جميعاً رجالاً .. فكلهم أصدقاء (وائل) .. قلت له :

- ولماذا تركوا العيادة ؟ فليكملاوا سهرتهم هنا .. ولنحولها إلى مقهى د. (ياسين) أو مقهى المعلم (ياسين) .

- آسف جداً يا دكتور .. أعدك أنني لن أفعل هذا ثانية .

عدت إلى غرفتي وأنا في قمة الغضب ..

هل سبب غضبي أن (وائل) دعا أصدقاءه لمشاهدة المباراة المهمة في عيادتي وحولها لمقهى .. أم بسبب اكتشافهم أنهم ليسوا مرضى وأن العيادة لا تزال خالية ؟

ثم جاءني اتصال .. تمنيت أن يكون مريضاً ويطلب استشارة أو يرغب في معرفة عنوان العيادة .. رفعت السماعة و ..
- آلو .

كانت د. (ريهام) تبلغني أنها ستزورني في العيادة .

بعد المكالمات .. فكرت في مسألة المرضى .. ستأتي د. (ريهام) وستجد حال عيادتي كما هو .. كما رأتها آخر مرة .. ما العمل ؟
كيف أتصرف ؟

ثم جاءتني فكرة ..

خرجت على الفور وقلت لـ (وائل) :

- أصدقاءك ؟

قال بخجل :

- أعدك يا دكتور أنك لن تراهم مرة أخرى فى العيادة .. سأقطع علاقتى بهم لو أردت .

(وائل) يبالغ قليلاً فى التعبير عن أسفه .. قلت له مبتسماً :

- لا .. ليس لهذه الدرجة .

ثم ترددت قليلاً قبل أن أقول :

- يمكنك أن تستدعيهم لاستكمال مشاهدة المباراة معك .

ولم يصدق (وائل) ما قلته .. ولكنى كنت أحتاج إلى مرضى أو

إلى أشخاص يتظاهرون بأنهم مرضى .. قبل وصول د.(ريهام) .

* * *

مرت زيارة د.(ريهام) على خير .. لقد اعتقدت أن العيادة ممثلة عندما رأت أصدقاء (وائل) .

اشتكت لى من سوء حال عيادتها ومن الفراغ القاتل الذى تعانيه وتفكيرها فى إغلاق العيادة .. كنت أود إخبارها أنى أفكر فى ذلك أيضاً ولكنى تراجعته عن الفكرة .. فكرة إخبارها وليست فكرة إغلاق العيادة .

لقد خدعتها بوجود مرضى (أصدقاء الممرض) فكيف أخبرها بأن حال عيادتى يشبه حال عيادتها ١٩

نصحتها ببعض النصائح :

- ما رأيك فى نشر إعلان عن عيادتك لمدة أيام فى جريدة أو مجلة شهيرة ؟ ما رأيك فى توزيع إعلانات ورقية ؟ أو لصق إعلانات على الحوائط ؟ أعرف بعض الشباب يمكنهم عمل ذلك مقابل أجر بسيط .

كنت أنصحها وأنا أريد أن أنفذ هذه النصائح .. من أجل عيادتى .

* * *

وفى يوم آخر ..

كنت أصعد إلى عيادتى فسمعت أصوات .. تمنيت أن يكونوا مرضى .. لكنى رجحت أن يكون صوت التلفاز كما حدث معى من قبل فى مرات سابقة .. إن (وائل) يهوى مشاهدة الأفلام العربية . لكن هذا صوت (وائل) يتحدث مع أحد .. ولا أعتقد أنه يتحدث فى الهاتف لأنى أسمع صوتاً آخر .. ولا أسمع أى موسيقى تصويرية .. أعتقد أن هذا الصوت ليس صادراً من التلفاز .

وكان تخمينى صحيحاً لأنى لمحت التلفاز مغلقاً قبل دخولى العيادة .

صوت أنثى !!

إن السيدة (ماجدة) اعتادت أن تزورنى فى العيادة بحكم الجيرة وبحكم أن العيادة خالية .. لكن هذا الصوت ليس صوتها .. ليست هى بالتأكيد .

دخلت العيادة ونظرت إلى صاحبة الصوت وتأكدت أنها ليست جارتى .

و .. رأيت مشهدًا لم يعجبني على الإطلاق .

كان (وائل) الممرض يقبل يد امرأة تجلس معه ويضحكان بصوت عال .. لقد حوّل (وائل) عيادتي إلى مقهى من قبل .. وهو فى طريقه الآن لتحويلها إلى!!!

* * *

صحت غاضبًا :

- ما هذا ؟

انتفضا الاثنان ونهضا بسرعة من مكانيهما وترك (وائل) يدها وقال بارتباك :

- دعنى أشرح لك .

- تشرح ماذا ؟

- دعنى أوضح لك .

- توضح ماذا ؟

ثم نظرت إلى المكتب وجدت حلة طعام وبجوارها أطباق .. وبجوارهم بعض الفاكهة وبعض زجاجات المياه الغازية .. ونظرت إلى المقاعد فرأيت بعض ملابس نسائية .. من السهل تخمين أنها تخص هذه المرأة .

قلت له غاضبًا :

- هذا آخر يوم لك فى العيادة .

اتجه (وائل) نحوى قائلًا :

- دعنى أشرح لك أولاً .

- لا أريد أن أسمعك .. فلن أصدق شيئًا .. لقد رأيت بنفسى .

- دعنى أشرح لك .

ثم اتجه نحوها وأشار إليها قائلًا :

- إنها (فوزية) .

- ماذا ؟

- زوجتى .

ثم شرح لى كل شيء .. لقد طلب منها أن تحضر له طعام الغداء فى العيادة .. لقد اشتاق إلى (طبيخها) .. فمئذ عودتى طلبت منه ألا يغادر العيادة فى فترة الراحة .. فاعتاد على طلب وجبات من المطاعم ولكنه اشتاق إلى الطعام الذى تصنعه زوجته .. وهكذا جاءت زوجته إلى العيادة لتعطيه وجبة الغداء .. ولكنه أصر على أن تأكل معه وطمأنها .. كالعادة .. أن العيادة خالية .. (لن يأت أحد) .. والطبيب لا يأت إلا نادراً .. ونسيا نفسيهما .. تحررت من بعض الملابس لتكون على راحتها وحتى لا تنتسخ ملابسها من الطعام .. لكنها ظلت - رغم ذلك - محتشمة .. وبعد انتهاء الوجبة شكرها وشكر يدها التى صنعت هذا الطعام .. وكانت قبلة اليد هى طريقته فى التعبير عن ذلك .

تفهمت الموقف وقلت بهدوء :

- حسناً .. لم أكن أعرف أنها زوجتك .. ولكن هذا لا يصح يا (وائل) .. هذه عيادة .. كيف سيكون الحال إذا جاء مريض ورأى هذا المنظر الذى رأيته ؟

قال (وائل) بهدوء مستفز :

- لا يأتى أحد .

- لك بيت يا (وائل) .. يمكنك الأكل به .

- لقد منعت خروجى .. لقد ألغيت وقت الراحة .

- حسناً .. سنعود إلى الجدول القديم .. سيكون هناك وقت راحة .. يمكنك الخروج للأكل فى بيتكم وربما النوم لبعض ساعات ثم تعود إلى العيادة .. ما رأيك ؟

ظهرت السعادة على وجهيهما .. قلت لـ (وائل) :

- وسأجلس هنا فى هذا الوقت لحين عودتك .. تحسباً لأى ظروف .. ربما يأتى مريض فى وقت الراحة هذا .

- لا يأتى أحد يا دكتور .. عدا السيدة (ماجدة) .. وهذه تأتى لأنها جارتنا وليس لديها ما يشغلها .

قلت كاتماً غيظى :

- ربما يأتى أحد .

و لم أكن أتصور أن توقعاتى ستحدث بمنتهى السرعة .

فى اليوم التالى ..

وفى وقت الراحة .. ذهبت إلى عيادتى لأجلس فيها بينما يذهب (وائل) إلى بيته كما وعدته .. لكننى فوجئت بالعيادة ممتلئة .. نظرت إلى وجوه الجالسين .. كانوا رجالاً وسيدات وأطفالاً .

أشرت إلى (وائل) قبل دخولي من الباب فخرج بسرعة فقلت له معاتبًا :

- فى يوم تأتى بأصدقائك .. وفى يوم تأتى بزوجتك .. واليوم تأتى بعائلتك ! هذا كثير يا (وائل) .. أنا لن أحول العيادة إلى لوكاندة .

ضحك (وائل) وقال :

- لا يا دكتور .. هؤلاء مرضى .

نظرت إلى (وائل) .. بالتأكيد يمزح .. سألته :

- أليسوا أقاربك ؟

- لا يا دكتور .

- أليسوا أصدقاءك ؟

- لا يا دكتور .

- أليسوا جيرانك ؟

- لا يا دكتور .

ثم تابع قائلاً :

- كان معك حق يا دكتور .. لقد حدث ما توقعته بالضبط .

سألته مندهشًا :

- ما الذى تقصده ؟

- بالأمس .. لقد توقعت أن يأتى المرضى فى وقت الراحة ولم

أصدقك وقتها .. لكن حدث ما توقعته بالضبط .. لقد جاءوا فى

وقت الراحة .. أنت عبقرى يا دكتور .

لا أصدق ما يقوله .. هل هؤلاء مرضى حقًا ؟!

قال (وائل) بمنتهى السعادة :

- لقد فكر أحدهم فى الحضور !

طالما أن (وائل) قال (الكود السرى) فهذا يعنى أن الأمر

حقيقى ..

المرضى عادوا .

* * *

12 - حالة الأنسة (شهد) ..

طلبت من (وائل) إدخال الحالات بالدور .. فقال لى :

- أنا أعرف عملى يا دكتور ..

كدت أقول له (خشيت أن تكون نسيته بمرور الوقت) لكنى
تراجعت عن ذلك واتجهت إلى غرفتى بعد تحية المرضى ..

كانت أول الحالات هى حالة الأنسة (شهد) .. سألتها :

- مم تشكين يا (شهد) ؟

لم ترد .. يبدو أنها مترددة فى البوح بمشكلتها فقلت مشجعاً :

- تكلمى يا شهد .. اعتبرنى صديقاً وليس طبيباً نفسياً ..

كانت شاردة فسألتها :

- فيم تفكرين ؟

لم ترد .. فقلت لها :

- هل أنت خائفة من التحدث ؟

ابتسمت قائلة بهدوء شديد :

- لا .. لست خائفة ..

سألتها مندهشاً :

- ما المشكلة إذن ؟

فكرت للحظات ثم قالت :

- دعنى أتذكر ..

- تتذكرين ماذا ؟

- أتذكر مشكلتى ..

- هل نسييت مشكلتك التى أتيت للحديث عنها ؟

- نعم ..

قلت مبتسماً :

- من الجميل أن ينسى الإنسان مشاكله .. ولكن يبدو أن مشكلتك

هى النسيان ..

* * *

أخيراً تذكرت الأنسة (شهد) مشكلتها .. أو ربما تذكرت مشكلة

أخرى فقررت إخبارى بها لحين تذكر مشكلتها الأصلية ..

كانت مشكلتها تكمن فى الغيرة من زملائها فى العمل .. تشعر

بغيرة شديدة منهم وتغضب جداً إذا تفوق أحدهم عليها .. أخبرتها أن الغيرة مطلوبة في العمل وتعطى دافعا لإتقان العمل وتحقيق إنجازات رائعة لكن بشرط ألا تزيد على الحد المعقول فتصير بعدها وحشا يأكل صاحبه .

إن الغيرة العادية مطلوبة .. غيرة بحدود معينة .. أما الغيرة الزائدة على الحد فهي مرض خبيث .

أخبرتني أيضاً بمشاكل أخرى لها في العمل وفي النادي وفي البيت ومع الجيران ومع سائق الأتوبيس ومع .. ومع .. ومع .. شعرت أن لديها مشاكل مع الجميع .

لا توجد مشكلة محددة تعاني منها .. لكنها كانت تذكر لى كل ما يثير حنقها .

انتهت الجلسة .. وحددت لها موعداً للجلسة القادمة .. ثم خرجت فخرجت وراءها بدلاً من الجلوس في مقعدى .. لا أعلم سبب ذلك .. ربما رغبت في رؤية بقية المرضى لأطمئن عليهم .. وعلى وجودهم .. ربما .

ها هم مرضاى ! مازالوا موجودين .. الحمد لله .. لم يخف أحد أثناء الجلسة .

لمحت الآنسة (شهد) تنظر إليهم وكأنها تعرفهم ثم ترفع

إبهامها لأعلى كأنها تطمئنهم بطريقة (ده كده !) .. ثم فوجئت بأحدهم يقول لها يا بتسامة عريضة :

- العشاء الليلة عند (سوسو) .. لا تنس يا (شهد) .

ابتسمت له ثم قالت :

- لن أنسى يا (زياد) .

من الواضح أن (شهد) و (زياد) يعرفان بعضهما .. والاثنان مرضى عندى .. ولكنهم لم يأتيا معاً .. والدليل أن (شهد) ستخرج بمفردها .

ثم قالت فتاة من بين الجالسين فى الصالة .. والتي اتضح أنها (سوسو) :

- إياكم أن يتأخر أحد .

سمعت همهمة صادرة من جميع الجالسين .. ما هذا ؟ هل كل مرضاى يردون على جملتها ؟ هل كل هؤلاء مدعوون للعشاء عندها ؟ هل تعرفوا على بعض أثناء جلوسهم هنا ؟ يبدو أن (سوسو) اجتماعية جداً وكريمة جداً .

أم إنهم كانوا يعرفون بعضهم جيداً قبل مجيئهم العيادة ؟

صحت قائلاً :

- (شهد) .. انتظري .

التفتت الأنسة (شهد) لى وقالت :

- نعم يا دكتور ؟

- هل تعرفين هؤلاء ؟

لم ترد .. فقلت لها :

- أخبريني بالحقيقة .

- نعم أعرفهم .

- كيف ؟

- إنهم أصدقائي وزملائي فى العمل .

تذكرت عملها .. لقد قالت أنها ممثلة مسرح .. وهذا يعنى أن كل هؤلاء ممثلون أيضاً .. اتجهت إلى أقربهم لى وسألته :

- مم تشكى ؟

لم يرد .. نفس الحيرة التى كانت لدى الأنسة (شهد) عندما سألتها نفس السؤال .

هذا لأنهم ليسوا مرضى .. إنهم يمثلون أنهم مرضى .. لقد فهمت كل شىء .. واتضح لى كل شىء .. سألتهم :

- من الذى دفع لكم لتقوموا بهذه التمثيلية ؟

* * *

خرجت من عيادتى وهبطت الدرج حتى وصلت لشقة السيدة (ماجدة) .. طرقت بابها .. فتحت لى وقالت :

- أهلاً يا دكتور .. كيف حالك ؟

قلت لها بغضب :

- ما هذا الذى فعلته ؟

ظهرت عليها الحيرة ، فقلت :

- تؤجرين بعض الممثلين الهواة ليقوموا بأدوار مرضى فى عيادتى !

- كنت أحاول المساعدة .. حتى لا تشعر بالإحباط من عدم وجود مرضى .. وحتى يشجعوا الآخرين على الدخول .. فالمرضى يطمنون دائماً عند رؤية العيادة ممثلة .. لا تغضب يا دكتور .. إنها مرحلة مؤقتة .. حتى يأتى مرضى حقيقيون .

- أنا لا أريد هذا .. ومن فضلك لا تتدخل فى عملى مرة أخرى .. أنا لا أريد أى مساعدة .

- يا دكتور .. أنا لم أقصد أن ..

قاطعتها قائلاً :

- لا تشغلى بالك بالعيادة .. واعلمى أنى أفكر فى إغلاقها .

- أرجوك .. لا تفعل .

- ولماذا لا ؟

- المرضى سيأتون قريباً .. أنا متأكدة .

- هل سيكونون أقاربك هذه المرة ؟ أم أصدقاءك ؟

- لا .. سيكونون مرضى حقيقيين .. اصبر وسوف يأتون ..
أنا واثقة .

- واثقة ! هل رأيت هذا فى أحلامك ؟

صمتت .. فقلت لها :

- إياك أن تؤجـرى ممثلين آخرين .

- لا تقلقى .. لن أفعل .

فتركتهـا لأصعد إلى عيادتي فـقالت :

- أرجوك .. لا تغلقها .

قلت بحزم :

- سأتركها مفتوحة لبعض أيام .. إذا لم يأت مرضى سوف
أغلقها للأبد .

13 - شقتك مسكونة ..

" لم يأت أحد "

قالت د. (ريهام) جارتى وأنا أقف معها داخل عيادتها الخالية
من المرضى .. مثل عيادتي تماماً :

- أريد أن أخبرك بأمر مريب .

أثارت انتباهى فسألتهـا :

- ما هو ؟

ابتلعت ريقها و قالت بخوف :

- إن شقتك مسكونة .

ضحكت قائلاً :

- كيف عرفت ذلك ؟!

- طوال اليوم أسمع أصواتاً داخل شقتك .. أصوات خطوات ..
صوت تحطم أشياء .. صوت تلفاز .. كأن أشباحاً تسكن شقتك
وتعيش حياتها بصورة طبيعية فيها .

جارتى المسكينة لا تعلم أنى أقضى معظم وقتى داخل شقتى ..
قلت لها مبتسمًا :

- ربما يكون أنا .

صاحت معترضة :

- لا يا دكتور .. هذه الأصوات أسمعها أثناء تواجدك فى عيادتك .

يبدو أنه لا مفر من إخبارها الحقيقة .. إن الكذب بلا أقدام كما يقولون .

- إنه أنا .

- ماذا ؟

- شقتى ليست مسكونة بالأشباح .. أنا الذى أسكنها .. وأعيش حياتى بصورة طبيعية فيها .

- كيف هذا ؟ أنا أسمع هذه الأصوات طوال اليوم .. وأنت فى عيادتك .. ولا يمكنك أن تكون جالسًا فى البيت كل هذه المدة وتترك عيادتك .

- سأخبرك بالحقيقة .. عيادتى خالية منذ يوم عودتى من السفر .

قالت د. (ريهام) مندهشة :

- أنا أعلم أنها كانت خالية ولكنك أخبرتنى بعد ذلك أنها امتلأت ولقد رأيت المرضى بنفسى عندما زرتك .

ضحكت قائلاً :

- كانوا أصدقاء (وائل) الممرض .

- أتعنى أن عيادتك خالية وليس بها أى مريض ؟

- نعم .. ولهذا كنت أقضى معظم وقتى فى الشقة .. أشاهد التلفاز .. وأنت اعتقدت أن هناك أشباحا .

قالت مبتسمة :

- لقد اطمأنتت الآن .

- هل تخافين من الأشباح إلى هذه الدرجة ؟

- لا لم أقصد هذا .. أقصد أننى اطمأنتت عندما علمت أن عيادتك خالية .

فكرت قليلاً فيما قالتة ثم قلت :

- لقد فهمت قصدك .. أنت اطمأنتت لأن عيادتك خالية أيضاً ..

نعم .. اطمئنى .. لست وحدك .. أنا أيضاً أعانى مثلك .

هزت رأسها نفياً وقالت :

- لا .. لا أقصد عيادتي .

- ماذا ؟

- أنا طبيبة مبتدئة .. من الطبيعي أن تكون عيادتي خالية من المرضى لأنى لم أتل الشهرة الكافية بعد .. المشكلة تكمن فى عيادات الأطباء المشاهير مثلك .. ومثل أبى .

- أبيك !

- نعم .. أنت تعلم أنه طبيب نفسى .. أليس كذلك ؟

ضحكت قائلاً :

- طبعاً أعلم .. وأعتبر أبيك أستاذى فى الطب النفسى .. ولكنى لم أكن أعلم أنك ابنته إلا بعد مشاهدة الصورة التى كانت تجمعنى به .. وأخبرتني بعدها أنه أبوك .

صدمتنى قائلة :

- عيادة أبى خالية تماماً من المرضى هذه الأيام .. مثل عيادتك .

- ماذا ؟ كيف هذا ؟ إن أبيك طبيب مشهور جداً .

قالت بفخر :

- نعم .. أعلم هذا .

ثم تابعت قائلة :

- ولكن فجأة بدأ عدد المرضى يقل تدريجياً .. حتى وصل اليوم الذى أصبحت فيه العيادة خالية تماماً .

- أمر غريب و محير !

- بالضبط .. ولهذا كنت أسألك دائماً عن حال العيادة لأطمئن وأعرف .. هل هذا حال عيادة أبى فقط أم بقية العيادات مثله .. فكنت تجيبني أن المرضى فى ازدياد .. وعندما شككت فى الأمر وقررت زيارتك وجدت عندك مرضى بالفعل .. لكن اتضح لى الآن أنهم أصدقاء الممرض وهذا يعنى أن عيادتك كانت خالية منذ زمن .

- كنت أعتقد أن السبب هو عدم معرفة المرضى بأمر عودتى من السفر .. أما الآن فأنت تخبريننى أن هناك عيادة أخرى لطبيب أشهر منى خالية أيضاً .

- لا أقصد مقارنة عيادتي بعياداتكم ولكن مرضاى اختفوا أيضاً .. ودون سبب معروف .. وهناك احتمال أن تكون العيادات الأخرى كذلك .

اعترضت قائلاً :

- لا .. لا .. العيادات الأخرى بها مرضى .

- ما أدراك ؟

- لقد اتصلت بهم وعرفت .

ضحكت وقالت بذكاء :

- أنت كذبت على بشأن عيادتك .. ربما فعلوا مثلك أيضًا .

فكرت فى جملتها .. معها حق .. فقلت لها :

- يمكننا التأكد .

- كيف ؟

قلت مبتسمًا :

- زيارة مفاجئة .

* * *

« لم يأت أحد »

* * *

قامت بزيارة مفاجئة لعيادة صديقى د.(مجدى) .. وجدها خالية من المرضى .. الرجل كان يكذب والأسباب معروفة .. ولقد كان يعتقد أن عيادتى مزدحمة .. لذا لم أستطع لومه على الكذب لأنه سيلومنى أيضًا .

قامت بزيارة عيادات نفسية أخرى .. وجدت بعضها خالية

أيضًا .. والبقية مغلقة .. ومنهم من وضع لافتة على الباب تقول (للإيجار) .. ويبدو أننى سأغلق عيادتى أيضًا وربما أضع لافتة تقول (العيادة مغلقة لعدم وجود مرضى) .

بعد زياراتى المفاجئة لكثير من العيادات .. اكتشفت الحقيقة المريبة .

جميع العيادات النفسية خالية من المرضى !

* * *

14 - حالة غموض ..

أغرب حالة يمكن أن يواجهها الأطباء النفسيين هي (حالة اختفاء المرضى).

أين المرضى ؟ لماذا لا يأتون ؟ وهل هذه الحالة يمر بها الأطباء النفسيين فقط ؟

زرت عيادات أخرى لأطباء آخرين .. في تخصصات مختلفة .. فوجئت بوجود المرضى .

هذا يعنى أن العيادات النفسية فقط هي التى تعاني من اختفاء المرضى .. لماذا ؟

هل هناك نصيحة منتشرة تقول مثلاً : (لا تذهب هذا المساء .. العيادة بها غاز قاتل) أو إشاعة تقول مثلاً : (الذهاب إلى الطبيب النفسى ضار جداً بالصحة ويؤدى إلى الموت السريع) ؟ .. ما الذى يحدث فى البلاد ؟ .. أريد أن أفهم .

قال (وائل) بعد معرفته أنها حالة عامة أصابت جميع العيادات : لا تقلق .. إنها فترة قصيرة وستمر سريعاً .. ربما يتعلق الأمر بالمواسم .

- كيف ؟

- هذه أيام امتحانات .. والجميع مشغول بالثانوية العامة ؛ لذا لن تجد أحداً لديه الوقت للذهاب إلى طبيب نفسى .

- أعتقد أن أيام الامتحانات هي أكثر فترة يحتاج الجميع فيها إلى طبيب نفسى .. سواء الطلبة أو أهاليهم .

- ربما بسبب الصيف .. والجميع فى المصايف .

- حسناً .. وإذا كنا فى الشتاء .. كنت ستقول أن الجميع لا يطيق

الخروج بسبب البرد .. لا .. لا .. كل هذه أسباب غير مقنعة .. لأننا فتحنا العيادة فى جميع أوقات السنة ولم يحدث هذا من قبل .. لم تخلو العيادة من المرضى أبداً .

- الأمر غريب !

- والأغرب أن هذا ليس حال عيادتي فقط .

قال (وائل) بعد تفكير عميق :

- ربما هناك غاز فى الجو جعل الناس تشفى من الأمراض النفسية .

- وماذا عن مرضى المستشفى ؟ لماذا لم يتم شفاؤهم بنفس

الطريقة ؟

ثم تنبهت لشئ فى الأيام التالية ..

إن أعداد المرضى فى المستشفى تتناقص باستمرار .

لم أنتبه لذلك فى البداية .. وعندما اكتشفت الأمر رأيته أمراً عادياً لا يستحق الاهتمام .. هناك مثلاً من يود إدخال والده فى مستشفى أفضل فأخذه .. هناك من يرغب فى علاج والدته فى الخارج فأخذها .. هناك من لا يستطيع تحمل نفقات المستشفى فأخرج قريبه منها .. وهناك من هرب من المستشفى .. وهناك وهناك .. الخ .

كنت أراها حالات فردية لا تستحق الاهتمام ..

لكن العدد تناقص بصورة مهولة حتى جاء اليوم الذى وجدت فيه المستشفى خالية إلا من بعض المرضى .. وتوقعت ألا أجدهم فى الأيام القادمة .

إن اختفاء المرضى لا يضايقتنى .. إنه يحيرنى .

ولست وحدى فى هذه الحيرة .. جميع الأطباء النفسيين مثلى .

الرفاق حائرون .. يفكرون .. يتسائلون فى جنون : المرضى أين يختفون ؟

إن اختفاء الجنون سيدفع الأطباء النفسيين إلى الجنون !

يا للسخرية !

* * *

فى المستشفى .. سألت الممرض عن أى حالات جديدة دخلت مؤخراً فقال :

- يا دكتور .. الجميع يخرج .. لم يعد أحد يدخل .

سألته مندهشاً :

- لماذا ؟! ما الذى يحدث ؟!

هز كتفيه دليلاً على عدم المعرفة ثم قال :

- يبدو أن هذه المستشفى سوف تغلق قريباً .. فما فائدة مستشفى

بدون مرضى ؟! .. عدد المرضى الموجودين حالياً قليل جداً .. وربما يأتى أهاليهم و يأخذونهم أيضاً .

- وإلى أين يأخذونهم ؟ هل هناك مستشفى حديثة تعالج

المرضى مجاناً ؟!

- ربما يا دكتور .

صمت للحظات ثم قال :

- أعلم أن هناك مستشفيات قد أغلقت بالفعل ؟ .. وهناك

عيادات نفسية كثيرة أغلقت أو تم تحويلها إلى عيادات أخرى أو تم تأجيرها كشقق مفروشة .

ضحك ثم قال :

- هل أغلقت عيادتك يا دكتور ؟

بعد قليل دخل ممرض آخر غرفتي وقال :

- هناك مريض آخر سوف يغادر المستشفى .

نهضت من مكاني بسرعة و قلت :

- لا تدعه يخرج .. لا بد أن أراه أولاً .

أسرع الممرض لينفذ الأمر .. قلت للممرض الأول :

- لا بد أن أعرف السر .

سر رحيل المرضى .

* * *

قابلت الشاب الذي يريد إخراج والدته من المستشفى فسألته
عن السبب فقال دون أن ينظر لعيني حتى لا أكتشف كذبه :

- لا أستطيع تحمل نفقات المستشفى .

- نفقات المستشفى ليست عالية .. وإن كانت هذه هي المشكلة
اطمنن .. سأتكفل بعلاجها .

- لا أريد أن يتكفل أحد بعلاجها .

- هل تفضل أن تتركها بلا علاج على أن يتكفل أحد غيرك

بعلاجها ؟

- لا .. من قال هذا ؟ سوف أعالجها ولكن في مستشفى أخرى .

- وهل هي أفضل من هذه المستشفى ؟

- نعم .

- وهل ستستطيع دفع نفقاتها ؟

فكر قليلاً ثم قال :

- إنها تعالج الناس مجاناً .

- مستشفى أفضل من هذه وتعالج الناس مجاناً .. أخبرني

باسمها فوراً .

صمت للحظات ثم قال :

- من فضلك .. أريد إخراج أمي من المستشفى .

قلت بحزم :

- لن تخرج حتى تخبرني باسم المستشفى .

صاح محتجاً :

- ما هذا ؟

قلت بلهجة رسمية لأقنعه :

- لا بد أن تعلم إدارة المستشفى وتتأكد أن المريض سوف

- لقد أدخلتها هنا برغبتى .. ويمكننى إخراجها برغبتى .

- لا .. لقد أدخلتها برغبتك .. ولكن إخراجها سيكون برغبة إدارة المستشفى والطبيب المعالج .

وأشرت إلى نفسى .. وقلت :

- لا بد أن أوافق أولاً .

- لكن ..

- أخبرنى بالحقيقة وسوف أوافق على إخراجها فوراً .

صمت الشاب لدقائق .. قلت له محاولاً إقناعه :

- إذا كنت ترغب فى إخراج والدتك الآن فأخبرنى الحقيقة .. إلى أين ستأخذها ؟

بعد طول انتظار .. وبعد محاولات إقناع كثيرة .. قال الشاب مستسلماً :

- لقد وعدتهم ألا أخبر طبيباً بذلك .. لكننى مضطر الآن لإخبارك .. لا مفر .

شعرت بسعادة كبيرة .. سوف أعرف السر الآن .

السر الخطير .

* * *

15 - السر ..

قال الشاب معلناً السر :

- هناك طبيب نفسى شهير جداً .. كنت سأصطحب أمى ونذهب إلى عيادته .

ضحكت قائلاً :

- ما هذا ؟ هل تمزح ؟ إن موضوع المستشفى المجانى أكثر إقناعاً .

قال الشاب بصدق :

- هذه هى الحقيقة .. هناك طبيب رائع .. فتح عيادته مؤخراً .. يستطيع علاج جميع الأمراض النفسية .. البعض يعتبره ساحراً .. والبعض يعتبره شيخاً .. أنا أعتبره رجلاً صالحاً أعطاه الله من العلم ما يستطيع به علاج المرضى .

-

- سمعنا أقوالاً كثيرة عنه .. سمعنا أنه تعلم فى الخارج وعاد

لوطنه الأصلي مصر منذ شهرين .. سمعنا أنه يستطيع علاج المريض في جلسة واحدة وقد تستغرق الجلسة نصف ساعة فقط .

الأمر غريب ! و لكنه سبب منطقي يفسر غياب المرضى .. قلت له :

- لو أن هناك طبيبًا هكذا فبال تأكيد العلاج عنده سيكلفك مبالغ مهولة .

- بالطبع .. ولكننا سمعنا أنه يخفض التكاليف في بعض الأيام لبعض الحالات .

- لو أن الأمر هكذا .. فإن عيادته ستكون مزدحمة بالتأكيد .. ولن تستطيع علاج والدتك بسرعة .

- ربما .. ولكن لا تنس أنه لا يرى المريض مرتين .. وهذا يعني أن عيادته ستكون مزدحمة بحالات جديدة فقط .. وهو لا يأخذ وقتًا طويلاً في الجلسة .. أما الأطباء الآخرون فعياداتهم مزدحمة بنفس المرضى الذين يزورونهم كل فترة .. ويأخذون في الجلسة الواحدة ساعات طويلة .. لذا هذا الطبيب الشهير

مختلف .. هذا الطبيب أفضل .. يعطى علاجًا أسرع و أفضل .. ولهذا حجزت موعدًا لأمي قبل إخراجها من هنا .. فكلما حجزت أسرع كان ذلك أفضل .. قبل أن تزدهم عيادته أكثر وأكثر .

سألته بفضول :

- من الذى وعدتهم بعدم إخبار أى طبيب ؟

- أصدقائى .. الذين أخبرونى بأمر هذا الطبيب .. لقد اتفق الجميع على عدم إخبار الأطباء بأمر هذا الطبيب حتى لا يتخلصوا منه .

قلت متعجبًا :

- يتخلصون منه !

- نعم .. فهو سيكون السبب فى إغلاق عياداتكم .. لذا قد تفكرون فى قتله .

- نحن أطباء ولسنا مجرمين .

صمت الشاب لدقيقة ثم سألنى :

- بعد أن عرفت السر .. هل يمكننى إخراج والدتى الآن ؟

- بالطبع .

فرح الشاب جداً ثم قال :

- ولكن لى طلباً صغيراً .. لا تخبر بقية الأطباء بهذا السر .
- ومن قال أنهم لا يعرفون ؟! .. أعتقد أنني الوحيد الذى لا يعلم بالأمر .
- كيف ؟

- هل تعتقد أن طبيباً بهذه المواصفات - التى تتحدث عنها - لن يكون مشهوراً ؟ .. بالتأكيد يعلم الجميع بأمره .. ومثلاً أخبرتنى الآن سيكون هناك عشرات غيرك يخبرون أطباء آخرين .. وهذا ليس مهماً .. إن ما يهمنى الآن هو معرفة سر نجاح هذا الطبيب .. ما الذى يفعله للمرضى بالضبط ؟!

- لا أعلم يا دكتور .. أنا لم أعالج والدتى عنده بعد .. لكن .. لو أنك تريدنى أن أكتب لك العلاج الذى سيكتبه لها سوف أفعل هذا من أجلك .

فكرت للحظات وقلت :

- لا تشغل بالك .. أخبرنى فقط باسم هذا الطبيب ومكان عيادته .

* * *

اتصلت بمعظم أصدقائى الأطباء النفسيين وأخبرتهم بالسر .. بأمر هذا الطبيب الجديد .. د.(نجيب الشارودى) .. الذى تسبب فى إغلاق معظم عياداتنا وفى طريقه لإغلاق البقية .
اتضح لى أن معظمهم كان يعلم بأمره .. فطلبت منهم أن يتطوعوا لزيارته ويعرفوا سر نجاحه و شهرته .

لكن .. لم يوافق أحد منهم .. رأوا أن زيارته ستسبب لهم فضيحة وسيشاع عنهم أنهم ذهبوا لزيارة الطبيب الشهير من أجل العلاج .

سوف يقال (حتى الأطباء النفسيون أنفسهم يذهبون للعلاج عنده !) وسيعطونه بذلك مزيداً من النجاح و الشهرة .

لذا فكرت أن أخوض التجربة بنفسى .. سأذهب إلى عيادة هذا الطبيب الشهير .. سأذهب إليه كمريض نفسى .. وبخبرتنى كطبيب نفسى سأعرف السر .. سر هذا النجاح .. ولو استطعت معرفة السر سأكون طبيباً ناجحاً شهيراً مثله .. أما لو لم أستطع فسيظل هو الطبيب النفسى الشهير الوحيد .. وسوف أفعل مثلاً فعل معظم أصدقائى .. سوف أغلق عيادتى للأبد .

* * *

ذهبت إلى عيادته .. فوجئت بازدهام شديد على الدرج ..
اخترقت الزحام ووصلت إلى باب العيادة .. رأيت لافتة بسيطة
جداً مكتوب عليها بخط ذهبي بارز :

نجيب الشارودي

طبيب نفسي

إن هذا الزحام الذي يبدأ من العيادة وينتهي على الدرج عبارة
عن المرضى الذين ينتظرون أدوارهم في هذا اليوم ..

صالة العيادة مزدحمة للغاية .. استغرقت وقتاً طويلاً حتى
وصلت إلى الممرضة ..

سألتني بروتينية دون أن تنظر لى :

- الاسم ؟

هل أخبرها باسمي الحقيقي ؟ أم اخترع اسماً آخر حتى لا يعلم
أحد أنني زرتة ..

نظرت لى غاضبة عندما تأخرت في الرد .. وقالت :

- هل نسيت اسمك ؟!

أجبتها بسرعة :

- (توفيق حلمي) .

قلت أول اسم خطر ببالي وقتها .. دفعت لها ثم سألتها :

- متى سأدخل ؟

كتبت الاسم في الدفتر وقالت :

- يوم الثلاثاء .. الساعة الخامسة مساءً .

فكرت .. إن اليوم هو الثلاثاء .. قلت لها بغضب :

- أتعنين أنى سأدخل بعد أسبوع من الآن ؟

قالت باقتضاب :

- نعم .

ثم صاحت بأعلى صوتها :

- التالى .

دفعنى أحدهم ليقف مكانى ويخبرها باسمه .. ثم سمعت صوت
جرس فى المكان فنظرت الممرضة فى دفترها .. ثم قالت بأعلى
صوتها :

- (جابر سليمان) .

رفع أحد الجالسين ذراعه ثم اتجه نحوها وقال :

- نعم .. أنا هو .

- ستدخل الآن .

فرح الرجل كثيراً وقال :

- أخيراً!!!!!! .. لقد كنت أنتظر هنا منذ الصباح .

قالت له بلهجة صارمة كضابط شرطة مخضرم :

- بطاقتك .

أخرج الرجل بطاقته .. نظرت فيها .. تأكدت من الاسم .. وبعد خروج المريض من الغرفة أدخلته على الفور ثم أغلقت الباب وراءه .

حاولت أن ألمح د.(نجيب) فى اللحظة التى انفتح فيها الباب لكنى لم أستطع .

ثم تذكرت مسألة البطاقة ..

إن الممرضة لا تدخل المرضى إلا بعد رؤية البطاقة لتتأكد أنهم الذين قاموا بالحجز .

لكنى لا أملك بطاقة باسم (توفيق حلمى) .

* * *

اتجهت للممرضة وقلت لها :

- آسف جداً .. لم أكن أعلم أنكم تستخدمون البطاقات للتأكد من

الاسم .. لذا أود التسجيل باسمى الحقيقى .

- ماذا تعنى ؟

- إن اسم (توفيق حلمى) هو اسم الشهرة وهو الاسم الذى

أخبرتك به .. أما اسمى فى البطاقة هو د.(ياسين العوضى) .

- وما هو المطلوب منى ؟

- تغيير اسم (توفيق حلمى) إلى (ياسين العوضى) .

- لا أستطيع .

- كيف ؟

- إذا كنت تريد الحجز باسم (ياسين العوضى) .. تفضل .. أما

مسألة تغيير اسم سبق له الحجز فهذا صعب .

- لكنى أنا الشخص الذى حجزت بهذا الاسم .

- بصراحة لا أتذكر وجهك .. ولهذا نعتمد على البطاقات

مثلاً عندما ناديت منذ قليل على (جابر سليمان) .. ربما يدعى

www.dvd4arab.com

أى شخص هنا أنه (جابر) لكى يتمكن من الدخول .. ولهذا لابد أن أرى البطاقة أولاً .

- أنا لا أريد الدخول الآن .. أنا أريد فقط أن تغيرى التسجيل باسم الشهرة إلى اسمى الحقيقى .. لقد حجزت منذ ثوان بسيطة .. لا أستطيع .

- لماذا ؟

- هذا هو النظام .. مثلاً أنت تقول أن اسمك (ياسين العوضى) .. وسنفترض أنك حجزت بهذا الاسم .. هل تحب أن يأتى شخص آخر غيرك بعد قليل ويقول أنه (ياسين العوضى) ويريد تغييره إلى (شوقى) مثلاً .. أليس بهذا يكون أخذ دورك ؟
والحل ؟

- كما أخبرتك .. احجز باسم (ياسين العوضى) .

فكرت قليلاً .. بينما انهمكت هى فى تسجيل أسماء مرضى آخرين ..

شعرت بسخافة ما أفعله وفكرت فى الخروج .. ولكن الفضول يقتلنى .. لابد أن أدخل .. لابد أن أفهم .. لابد أن أعرف السر .

اتجهت إليها وقلت :

- حسناً .. أريد حجزاً آخر .

نظرت لى وقالت :

- اسمك ؟

تمالكت نفسى حتى لا أنفجر فى وجهها .. يبدو أن ذاكرتها ضعيفة جداً .. قلت :

- (ياسين العوضى) .

ثم دفعت لها وقلت :

- متى سيكون الموعد ؟

- الأربعاء .. الساعة السابعة صباحاً .

فرحت جداً وقلت لها :

- غذا !!

لم أصدق نفسى .. لقد حجزت باسم (توفيق حلمى) فجاء الموعد بعد أسبوع .. وعندما حجزت باسم (ياسين العوضى) جاء الموعد بعد يوم .. يبدو أن اسمى محترق

لكنها صدمتني قائلة :

- غداً كيف ؟ أنا أقصد الأربعاء .. بعد أسبوع من الغد .

قلت لها محتجاً :

- ولكن حجز (توفيق حلمي) كان يوم الثلاثاء الساعة الخامسة

مساءً .. ولقد حجز منذ دقائق .

نظرت في دفتر الأسماء أمامها وقالت :

- نعم .. لقد حجز (توفيق حلمي) قبلك بمدة .. ثم جاء بعده

مرضى كثيرون حجزوا لأنفسهم قبلك .

يبدو أنها نسيت فعلاً أنني الشخص الذي حجزت باسم (توفيق

حلمي) .. قلت لها :

- أتعنين أن تأخر دقائق قد تسبب في تأخر موعد الكشف

لساعات ؟

- نعم .

قلت بغيظ :

- لا .. لن أنتظر حتى يوم الأربعاء .. أريد كشفًا عاجلاً .

- حسناً .. ستدفع ضعف المبلغ .

- موافق .

- ثم تأخذ دورك .

قلت مندهشاً :

- دورى !

- نعم .

- وهل هناك دور في الكشف العاجل ؟

- نعم .. فهناك الكثير يتعجلون العلاج .. ومستعدون لدفع أى

مبلغ .

- و ماذا عن الكشف المجانى ؟

سألتنى متعجبة :

- هل تريد الكشف المجانى أم الكشف العاجل ؟

- فقط أسأل .. هل هناك كشف مجانى ؟

- نعم .. فى يوم الخميس من كل أسبوع . ويكون يوماً لا

يطلق .. بسبب ازدياد المرضى .. على عكس يوم الاثنين .



- ولماذا يوم الاثنين؟!

قالت مبتسمة :

- اعتبره (يوم الأثرياء) .

- كيف ؟

- هذا اليوم للأثرياء فقط .. الذين يستطيعون دفع أربعة أضعاف المبلغ ليدخلوا .. إنه بالفعل يوم مريح .. لأن العدد يكون بسيطاً .. وكل فرد يأتي فى موعده بالضبط .

- هل العيادة مفتوحة طوال أيام الأسبوع ؟

- لا .. يوم الجمعة إجازة .. تغلق فيه العيادة .

فكرت لثوان .. يوم الاثنين يوم مريح .. سيكون عدد المرضى قليل .. العيادة هادئة .. لا زحام .. سيرانى عدد قليل جداً .. قلت لها :

- حسناً .. سأحجز موعداً فى يوم الاثنين .

سألتنى لتغيظنى مجدداً :

- ما هو اسمك ؟

16 - حالة (ياسين العوضى) ..

وفى يوم الاثنين ..

ذهبت إلى العيادة فى الموعد المحدد للجلسة .. كانت الساعة العاشرة مساءً .. استقبلتنى الممرضة بابتسامة ترحاب وقالت :

- أهلاً بك .

- أهلاً بك .

- أنا (ياسين العوضى) وقد حجزت ..

قاطعتنى قائلة :

- أعلم .

- هل تريدين رؤية البطاقة ؟

- لا .

تعجبت .. قلت لها :

- ولكنك تتأكدين دائماً من هوية المرضى قبل إقبالهم

www.dvdarab.com

Loopoo

- نعم .. ولكنى أحفظ وجوه الذين يحجزون ليوم الاثنين ..
ولقد حفظت وجهك يوم الحجز .

ضحكت قائلاً :

- هكذا إذن .

ثم قلت لنفسى (لو أننى أعلم ذلك .. لاخترت يوم الاثنين باسم
آخر غير ياسين العوضى) .

قالت :

- إن الأترياء لا يحبون أن يطلب أحد منهم إظهار ما يثبت
هوياتهم .. على أساس أنهم معروفون ومشهورون .. وعادة لا
يحملون بطاقتهم .. لهذا تعودت أن أحفظ وجوههم .. وبعضهم
يقوم بالحجز يوم الاثنين نفسه .

ثم نظرت فى الساعة المعلقة على الجدار أمامها وقالت :

- فى موعدك بالضبط .

- نعم .. أنا أحب الالتزام بالمواعيد .

- وأنا أيضاً .

نظرت إلى المقاعد الخالية وقلت :

- لم أتوقع هذا .. لقد توقعت أن أجد اثنين أو ثلاثة .. على
الأقل .

ضحكت قائلة :

- أنت آخر واحد .

- كيف ؟

- لن يدخل أحد بعدك هذه الليلة .. لكن غداً يوم طويل .. كأتى
يوم عادى آخر .

- هل يعنى هذا أن آخر جلسة تكون فى العاشرة دائماً ؟

- لا .. إنه حظى الجميل .. اليوم سينتهى بجلسة العاشرة ..
لأعود لمنزلى الليلة مبكراً .. أما فى الأيام الأخرى فنغلق العيادة
فى الثانية عشر وأحياناً الواحدة صباحاً .

صمتت للحظات ثم قالت :

- هناك من جاءوا ليحجزوا بعدك ولكنهم رغبوا فى موعد
نهارى .. ولهذا حجزوا فى يوم الاثنين القادم .. يبدو أن البعض لا
يفضل الخروج ليلاً .

- وكم تستغرق الجلسة ؟

- أطول جلسة كانت نصف ساعة .

اندهشت من جملتها .. يبدو أن الشائعات صحيحة .. فسألتها :

- وأقصرها ؟

- دقيقتين .

أعتقد أنها تبالغ .. دقيقتين ! هل هذا معقول ؟ إن الدقيقتين تكفى للمصافحة فقط .. تابعت قائلة بلهجة انبهار :

- لقد عالج أحدهم يوماً عن طريق الهاتف !

- كيف هذا ؟

- لا أدري طبعا .. ولكنه حدث !

سألتها :

- وهل تكون هناك جلسات ثانية للمريض نفسه ؟

- لا طبعا .. إلا إذا طلب المريض نفسه ذلك .

- كيف ؟

- ربما يعاني المريض من مرض آخر أو ..

قطعت جملتها عندما سمعت صوت الجرس ..

لقد حان موعد دخولى ..

سوف أقابل الرجل الغامض بعد لحظات .

* * *

دخلت الغرفة فرأيتَه جالسا خلف مكتبه يطالع كتابا ..

ما هذا ؟ ! هل يطالع الكتب فى الاستراحة القصيرة بين مريض وآخر ؟ أم إنه يتظاهر بالقراءة ليعطى انطباعا جيدا لدى المريض قبل دخوله ؟ ولكنه طبيب .. ومشهور .. لا أعتقد أنه فى حاجة لترك أى انطباعات جيدة لدى المريض .. الانطباعات موجودة بالفعل ..

هناك احتمال أنه أراد البحث عن معلومة ما أو التأكد منها من خلال الكتاب ولكن هذا يعطى انطباعا سيئا لدى المريض .. فالمفترض ألا يراجع الطبيب شيئا أمامه .

وضع الكتاب أمامه على المكتب .. فرأيت وجهه .. ما هذا ؟ !

إنه رجل فى الأربعين من عمره تقريبا .. لقد تمكنت أن يكون

أكبر من ذلك بكثير .. توقعته في الستين أو السبعين .. وربما الثمانين .. ولم أستبعد التسعين .

وسيم .. بل وسيم جداً .. يصلح كنجم سينمائي .. عندما أطلق المرضى عليه إشاعة أنه (ساحر) ربما كانوا يقصدون ملامحه .

فهو ليس ساحراً بالتأكيد .. لا يخرج عصاه من درج مكتبه و يضعها على رأس المريض و تحدث ومضة ثم .. يتم الشفاء .. هذا لا يحدث بالتأكيد .

يرتدى نظارة رقيقة جداً شفافة جداً .. ربما تحتاج إلى نظارة لكي تراها .

نهض لمصافحتي وقرأ الاسم المدون أمامه في الدفتر :

- (ياسين العوضى) ؟

- نعم .

من الواضح أنه لا يعرفني .. فقط يعرف اسمي من الممرضة .. ليتني أخبرتها أنني (توفيق حلمي) .. الدفتر أمامه الآن به اسمي .. لابد أنه كتب فيه (حالة ياسين العوضى) .. لقد أصبحت (حالة) عند طبيب نفسي .

قال لي راسماً ابتسامة ودودة :

- أهلاً بك .

- أهلاً وسهلاً .

- تفضل .

وأشار بيده .. لا أعلم هل أشار نحو المقعد أم الشيزلونج .

ربما هو قصد ذلك .. حتى يترك لي الحرية في اختيار ما

يناسبني .. فكرة ذكية !

جلست على المقعد أمام مكتبه ، فقال بابتسامة غامضة :

- لماذا لم تجلس على الشيزلونج ؟

يبدو أنه يمارس الأعباء الذكية عليّ .. قلت له :

- اعتقدت أنك أشرت نحو المقعد .

- أو ربما أنت أردت أن تعتقد ذلك .

سألته :

- هل تحب أن أجلس على الشيزلونج ؟

نظر لى بعمق وقال :

- اجلس فى المكان الذى يريحك .

قلت بهدوء :

- حسناً .. المقعد مريح .

لم أحب فكرة الاسترخاء على الشيزلونج .. شعرت بخوف حقيقى أن أتحول لمرضى عنده .. أنا هنا لأعرف أكثر عنه .. وربما لأعلم سر نجاحه فقط .. أنا لست مريضاً .. يجب أن أتذكر هذا .. تأملت الغرفة ..

كانت الغرفة تحتوى على مكتبة عملاقة تحتل جداراً بأكمله .. شعرت بفضول شديد لأعرف الكتب التى بداخلها .. إنها مكتبة طبيب نفسى شهير .. بالتأكيد كتبها مهمة جداً .

على الجدار المقابل بعض الصور .. صور قديمة وحديثة .. الجدار الثالث به نافذة كبيرة تقع خلف مقعده .. والجدار الرابع به الباب الذى دخلت منه .

على مكتبه بعض الكتب والمراجع وهاتف وأباجورة و .. و ..

ما لفت انتباهى تمثال لرأس (سيجموند فرويد) (Sigmund Freud) .. يبدو أنه مغرم به .

سألنى :

- مم تشكى ؟

لقد قال الجملة المعتادة التى أقولها لمرضى .. بداية جيدة ! .. لقد شعرت أنه لا يختلف كثيراً عنى .. يقول مثلما أقول .. ولكنى لن أجيئه مثلما يقول مرضى .. لن أقول (أنا حالة خاصة جداً يا دكتور) .. سوف أبتكر إجابة أخرى .. ولكن ..

لقد فكرت فى الادعاء بأننى مريض ولكنى لم أفكر فى المرض نفسه .. لا بد أن أقول مرضاً ما .. وأتظاهر بوجود أعراضه عندى .

فاجئنى قائلاً :

- أنت طبيب نفسى .

* * *

17 .. حالة طبيب نفسى ..

تعجبت كثيرًا من الجملة التى قالها د.(نجيب الشارودى) ..
طبعًا لن أقول له (كيف عرفت أننى طبيب نفسى ؟) .. لا .. لن
أقولها .. لست بهذه السذاجة ! .. سألته :

- لماذا تقول هذا ؟

ضحك قائلاً :

- هل سؤالك يعنى أن تخمينى صحيح ؟

- أنا أسألك فقط لأعرف سبب هذا التخمين .

- ولكنه تخمين صحيح .. أليس كذلك ؟

هل أكذب عليه أم أخبره بالحقيقة ؟ .. يبدو أنه لاحظ حيرتى

فقال :

- الأمر واضح جداً يا دكتور .

- كيف ؟

ابتسم وقال :

- منذ دخولك من الباب حتى هذه اللحظة وأنت تثبت لى أنك

طبيب نفسى .

سألته مرة أخرى :

- كيف ؟

- مثلاً اختيارك للمقعد بدلاً من الشيزلونج .. مثلاً تأملك لديكور

الغرفة .. مثلاً نظرتك الفضولية نحو الكتب التى تحتويها المكتبة ..

مثلاً حيرتك فى اختيار مرض مناسب لك .. فلو أنك كنت مريضاً

لتحدثت على الفور عن مرضك .. أعتقد أنه من السهل على الفرد

العادى التمييز بين طبيب نفسى ومريض نفسى .. فما بالك بطبيب

نفسى مثلى ؟ .. والآن هل ستخبرنى الحقيقة أم

شعرت أنه لا مفر من الاعتراف .. قلت :

- نعم .. أنا طبيب نفسى .

- كنت أعلم ذلك .. وعلى فكرة لست أول طبيب نفسى يزورنى .

صدمنى بهذه الجملة فسألته مندهشاً :

- حقاً ؟

ضحك قائلاً :

- يبدو أننى قد سببت أزمة شديدة لكم .. فأتيتم لتتعرفوا على وعلى سبب نجاحى .. أم إنك قد أتيت لسبب آخر ؟

-

- حسنًا .. لو أن هذا هو السبب الحقيقى لزيارتك فأعتقد أنك لن تستفيد شيئًا أما لو كنت مريضًا فأرجو أن تخبرنى بمرضك وسوف أعالجك بإذن الله .

لم أدفع المبلغ الكبير لأجلس معه دقائق وأنصرف .. لا بد أن أجلس معه أكثر .. لا بد أن أخبره بمرض ما .. ولكنه سيعرف على الفور أنى اخترعت المرض .. لذا سأبحث عن شيء أعانى منه بالفعل .

قلت له بصدق :

- أنا أعانى من الرهاب من الكلاب (Cynophobia) .

حدق فى وجهى بعمق وقال متعجبًا :

- أنت تقول الحقيقة بالفعل !

- نعم .

سألنى مندهشًا :

- هل تخاف حقًا من الكلاب !؟

* * *

طبعًا تعرفون قصة خوفى المرضى من الكلاب فقد شرحتها لكم فى العدد الماضى .. لذا سنتجاوز الجزء الذى شرحت فيه أسباب نشأة و تضخم مشكلة هذا الخوف (الرهاب) عندى .

قال :

- إذن المشكلة عندك منذ الطفولة .

- بالضبط .

وضع يده على كتفى قائلاً :

- ومازلت تخاف من الكلاب حتى الآن .

- نعم .

نظر لى وقال :

- حسنًا .. لن تخاف من الكلاب بعد الآن .

ضحكت قائلاً :

- كيف ؟

فوجئت به يقول :

- الجلسة انتهت .

نهضت وقلت مندهشاً :

- ما هذا ؟

جلس خلف مكتبه وقال :

- ماذا ؟

- لماذا قلت (الجلسة انتهت) ؟

ضحك بطريقة مستفزة وقال :

- لأنها انتهت بالفعل .

صحت غاضباً :

- ولكنك لم تعالجنى .

- وهل أتيت للعلاج ؟

قلت له بصدق :

- أعترف أنني جئت لأتعرف عليك وأعرف سر نجاحك وما

الذى تفعله مع المرضى .. ولكننى صارحتك بمخاوفى الحقيقية وأريدك أن تعالجنى منها .

أمسك الكتاب الذى كان يطالعه قبل دخولى وقال :

- وأنا بالفعل عالجتك .

ثم ضغط بإصبعه على زر موجود بالمكتب .. أعتقد أنه الزر الذى يصدر جرساً عند الممرضة .. سمعت صوته بالخارج .. وفى خلال ثوان كانت الممرضة تفتح الباب و تدخل .

يبدو أن الجلسة انتهت بالفعل .. نظرت فى ساعتى .. الجلسة لم تستغرق أكثر من ربع ساعة .. صحت معترضاً :

- أنت لم تعالجنى .

تضايقت الممرضة من صياحى الشديد .. نظرت لى بغضب وحقن .. أما د.(نجيب) نظر لى نظرة غامضة ثم قال بهدوء مستفز :

- وكيف تعرف أنني لم أعالك ؟

فكرت للحظات فيما قاله .. هل حقاً عالجنى ؟ .. ثم سمعته

يقول بحكمة :

- أنت طبيب نفسى .. وتعلم جيداً أن الأدوية لا نحتاجها كثيراً
لعلاج الأمراض النفسية .. يمكننى أن أكتب لك بعض الأدوية
ولكنك ستعلم أنها بلا طائل .

اندهشت الممرضة عندما سمعت جملته فقالت لى مندهشة :

- هل أنت طبيب نفسى ؟!

قال د.(نجيب) لها :

- يمكنك العودة لمنزلك الآن يا (شيرين) .

ابتسمت الممرضة - التى عرفت اسمها فى هذه اللحظة -
وقالت :

- هل تأمر بأى خدمة يا دكتور ؟

- لا .. تفضلى .

خرجت الأنسة (شيرين) الممرضة .. فنظر لى وقال :

- يمكنك الانصراف يا د.(ياسين) .. وإذا كنت تعاني من أى

مخاوف أخرى أو أمراض لا أعرفها فأخبرنى بها فى جلسة

أخرى .. أما خوفك الذى أخبرتنى به فقد انتهى للأبد .

سألته بحيرة :

- هل هناك جلسة ثانية ؟!

أجاب على الفور :

- لا .. أنا أقول إذا أردت أن تزور عيادتى مرة أخرى من أجل
مرض آخر فأهلاً بك .

ثم نهض ليصافحنى وقال بابتسامة هادئة :

- نورت عيادتى بزيارتك يا دكتور .

صافحته وأنا لا أعلم ما الذى أقوله .. كنت مندهشاً من حديثه
وثقته المفطرة بنفسه .. ثم فوجئت به يرفع الكتاب الذى بين يديه
أمام عيني لأقرأ عنوانه .. ويقول :

- هذا الكتاب هدية .. أعطاه لى أحد المرضى اليوم .. وهذه
هى إجابة السؤال الذى يدور بذهنك منذ رأيته .. فلا تظن أنى
أبحث عن معلومة بداخله أو أهوى للتظاهر بقراءة الكتب .

أعتقد أن هذا الطبيب نسخة أخرى من (شيرلوك هولمز)
(Sherlock Holmes) أو أنه يقرأ الأفكار .

* * *

لقد قال د.(نجيب الشارودى) أنه عالى .. ولكنى لا أصدق ..

كيف عالجنى ١٩ ومتى ١٩ إن الجلسة كانت أقل من ربع ساعة ..
فكيف عالجنى خلالها ١٩ أنا أستغرق ساعات من أجل علاج أى
مريض عندى .

هذا الرجل نصاب !

والعجيب أن المرضى يصدقون أنه عالجهم .. ولكنى لن أفعل
مثلهم ..

لن أصدقاه .

ولكن .. كيف نال شهرته ١٩ لو أنه طبيب مخادع كيف يذهب
إليه كل هذا العدد من المرضى ١٩ كيف ترك مرضى عيادتى
وذهبوا إليه ؟ كيف ترك المرضى المستشفيات ليعالجوا أنفسهم
عنده ؟

السؤال الأهم : هل تم شفاؤهم فعلاً ١٩

لقد أخبرته بخوفى المرضى من الكلاب .. وقال أنه عالجنى
منه ثم تذكرت جملته الذكية (وكيف تعرف أننى لم أعالجك ١٩)

نعم .. كيف أعرف ١٩

قررت الذهاب إلى عيادتى من الشارع الذى أتجنب المرور من
خلاله بسبب الكلب النباح الشرس المخيف الذى يربض فيه .

قررت خوض التجربة لأرى إن كنت لا أزال خائفاً منه أم لا ..
فلو كنت خائفاً فسوف أزور د. (نجيب) غداً وسيكون حسابه معى
عسيراً .

أما إذا كان قد عالجنى حقاً ولم أعد أخاف من الكلاب فسوف ..
أأ .. لا أعلم .. ربما أعترف أمام الجميع بمهارته .. وربما أغلق
عيادتى بعد ذلك .

إن خوفى المرضى من الكلاب بداخلى منذ زمن بعيد ولقد
اعتقدت أنى تخلصت منه عندما واجهت بشجاعة مجموعة من
الكلاب الشرسة .. لكن عندما وقفت أمام هذا الكلب عرفت أن
الخواف (الرهاب) لا يزال موجوداً . (*)

وصلت للشارع .. رأيت الكلب .. كان مستيقظاً .. جميل !
رائع !

(*) راجع العدد السادس : (حالة فوبيا) .

سأختبر نفسي الآن .. سأختبر شجاعتي .. سأختبر علاج
د. (نجيب) .

اقتربت بخطوات هادئة من الكلب .. شكله مرعب حقاً .

لكن ..

لا يخيفنى .

اقتربت أكثر ..

نبج الكلب تجاهى بقوة .. نباخا عالياً .. لكنى لم أخف .

واقتربت أكثر ..

كان يتوقع أن أجرى كما حدث فى المرات السابقة .. لذا اكتفى
بالنباح لإثارة ذعرى .. إنه يعرفنى جيداً .. نظر لى وكأنه يقول
(أنت مرة أخرى .. ما الذى أتى بك ثانية ؟ هل تريد ممارسة
رياضة الجرى فى هذه الساعة المتأخرة ؟)

لكنه فوجئ بثباتى وإصرارى على الاقتراب منه .. فقرر
النهوض ولسان حاله يقول (ما الذى حدث يا رجل ؟ ألم يعد
النباح يخيفك ؟ ألا بد أن أجرى خلفك ؟)

استمر فى نباحه .. وهو يسير ناحيتى متحفزاً للانقضاض فى
أى لحظة .. فوجئ بى أسير ناحيته بكل ثقة .. والمسافة بيننا
تقترب أكثر وأكثر .

وقف أمامى مباشرة وظل ينبج لمدة طويلة .. نظرت له بثقة
وقلت بشجاعة :

- لست خائفاً منك .

ويبدو أنه فهم جملتى .. نظر لى متعجباً .. شعر أن النباح لن
يهز شعرة منى فهدأ تدريجياً ثم عاد إلى مكانه واستكان .. ونظر
لى نظرة أخيرة وكأنه يقول (ما بك ؟ هل صرت شجاعاً فجأة ؟)
ثم أغمض عينيه وشعرت أنه يقول لنفسه (يبدو أننى كبرت فى
السن ولم أعد أخيف أحداً) .

ما هذا ؟

لقد وقفت أمام هذا الكلب مباشرة .. لم أكن خائفاً منه على

الإطلاق .

ما الذى يعنيه هذا ؟

Looloo

www.dvd4arab.com

لقد عالجنى د. (نجيب).

كيف ؟ لا أعلم .

لقد ذهبت إليه لأعرف السر .. لكنه عالجنى .. ولم أستطع معرفة السر .

لو استطاع علاجى بهذه السرعة دون أن أعلم كيف عالجنى - وأنا طبيب نفسى - فكيف سيعرف الفرد العادى ؟ .. إنه طبيب ممتاز بالتأكد .. لقد عالجنى من الخوف المرضى الذى لازمنى طيلة عمرى .

د. (نجيب الشارودى) !!!

هذا الطبيب يمكن اعتباره أسوأ كارثة حدثت للأطباء النفسيين .. لو ظل هذا الطبيب موجوداً بمصر لأغلقتا عياداتنا جميعاً .

ذهبت إلى عيادتى .. وجدت (وائل) هناك .

- أمازلت هنا ؟

- كنت أنتظرك يا دكتور .

- هل أتى أحد ؟

أجابنى الإجابة المتوقعة :

- لا .

قلت له باستسلام :

- ولن يأت أحد .

سألنى مندهشاً :

- لماذا تقول هذا يا دكتور ؟

لم أجبه .. فسألنى :

- هل سنغلق العيادة الآن ؟

- نعم .

صمت للحظات وقلت :

- ويبدو أننا سنغلقها لمدة طويلة جداً .

* * *

18 - القتل ..

طرقات عنيفة على باب منزلى فى الساعة السادسة صباحاً ..
 ما الذى حدث ؟
 الأمر ليس مطمئناً .
 الطرق عنيفة جداً .. أشعر أن هناك أكثر من عشر أياد تطرق
 الباب .. وكأنهم يريدون خلعه وليس الاكتفاء بالطرق عليه .
 حاولت تهدئة أصحاب هذه الأيادى وقتلت :
 - أنا قادم .. صبراً .. سأفتح لكم الباب .
 لكن .. يبدو أنهم لم يسمعونى بسبب صوت طرقاتهم العالية
 أو أنهم سمعونى ولا يهتمون .
 لو أنهم جيرانى فلا بد أنها مسألة حياة أو موت .. ربما أحد
 جيرانى يحتضر ويريدون منى الإسراع لإنقاذه .. لكنى لست
 الطبيب الوحيد هنا الآن .. هناك د. (ريهام) جارتى .. عيادتها فى
 الشقة المقابلة ..

ربما ليست فى عيادتها فى هذه الساعة المبكرة .. وربما لا
 يتقون بها حتى لو كانت موجودة .
 هناك احتمال آخر أن يكونوا .. رجال شرطة .
 وكان الاحتمال الأخير هو الصحيح .
 عندما فتحت الباب فوجئت بحشد من الضباط والمخبرين
 والعساكر .. ما كل هذا العدد ؟ .. لابد أن جارى الذى يحتضر
 وزيراً على الأقل .
 قال أحدهم :
 - أنت د. (ياسين العوضى) ؟
 قلت متردداً :
 - نعم .
 قال بلهجة عنيفة :
 - أنت مقبوض عليك .
 - ماذا ؟
 أمسك ذراعى بقوة وقال :

- هيا .. تعال معنا بهدوء .. لا داعى من الشوشرة .. أعتقد أنك لا تحتاج لها .

قلت ساخراً :

- بعد كل هذه الطرقات تقول (لا داعى من الشوشرة) .. لقد أيقظتم الجيران جميعهم .

استأذنتهم لأرتدى ملابسى وذهبت معهم .. حاولت تهدئة نفسى فى الطريق .. لا داعى من الإصابة بالذعر .. إن الذعر سيشل عقلى عن التفكير .

خمنت أشياء كثيرة .. ربما أحدهم يحتاجنى فى شهادة .. أو أحد مرضاى متهم .

لكن عندما وصلت إلى هناك اكتشفت أننى المتهم .

المسألة لم تكن حياة أو موت .. بل كانت مسألة موت فقط . هناك قتل وأنا المتهم فى قتله .

القتيل هو ..

د. (نجيب الشارودى) .

* * *

قال المحامى لى :

- موقفك ضعيف جداً .. الممرضة شهدت أنك آخر واحد زرته فى عيادته بالأمس .. وأنت كنت غاضباً منه .. هذا بالإضافة إلى وجود دافع قوى للجريمة .
- ماذا تقصد ؟

- القتل كان طبيباً نفسياً ناجحاً جداً وقد ذاع صيته فى جميع أنحاء مصر .. وبالتأكيد موته سيكون فى صالحك .. وانتشرت أقاويل كثيرة أن عيادتك كانت خالية من المرضى فى الفترة الأخيرة وأن كل مرضاك ذهبوا إليه .

- هذه الأقاويل صحيحة ولكنها ليست دافعا قوياً لتجعلنى أقتله .. إنه زميل مهنة .. وأنا طبيب قبل أى شىء .. كيف أكون طبيباً وأفكر فى قتل الناس !؟

قال مبتسماً ابتساماً سمجة :

- قالوا قديماً (عدوك ابن كارك) .

قلت بغضب :

- هل أنت معى أم ضدى ؟

- أنا أخبرك فقط أن موقفك ضعيف جداً ..

* * *

19 - المتهم ..

كنت جالساً في التخشبية .. أتخشى نظرات الجالسين معي في الغرفة الكنبية .. وخاصة ذلك المدعو (شلاطة عطية) .. إنه يتابعني بعينه منذ أخبرته أن تهمنى هي القتل .(*) لقد صرت مجرماً في نظره .. وربما في نظر الجميع بالخارج .
لا أصدق أن هذا قد حدث .

لقد قضيت اليوم كله هنا .. منذ الصباح الباكر وحتى دخولي التخشبية في المساء .

تذكرت الأحداث الماضية وتذكرت (نادين) .. ثم تخيلت الأحداث القادمة .. ماذا لو لم أستطع إثبات براءتي ؟ .. إن الشهود كثيرون ودافع الجريمة موجود .. جيرانه رأوني أخرج من عيادته ليلاً .. كنت آخر مريض عنده .. والدافع قوى .. (عدوك ابن كارك) أى عدوك منافسك .. زميل مهنتك .. وهذا الطبيب لم يكن منافساً لي فقط .. بل كان منافساً قوياً لكل الأطباء النفسيين .

(*) هذا هو المشهد الموجود في الفصل الأول من الرواية .

ولكن .. هل هذا يعنى أن القاتل طبيب نفسى ؟

لو كان هذا صحيحاً فمن هو ؟

ثم سمعت صوت باب الغرفة يفتح .. وسمعت صوتاً غليظاً قوياً يقول :

- (ياسين العوضى) .

من الواضح أنه يمتلك حجرة قوية جداً .. قلت له بصوت مبجوح من أثر القلق والتوتر :

- نعم .

من الواضح أنه يمتلك حاسة سمع قوية لأنه استطاع سماعي .. قال بخشونة :

- إفراج .

لم أصدق نفسي .. ليس معقولاً أن كلمة (إفراج) تخصنى .. لا بد أنه يستدعى سيدة اسمها (إفراج) .. لكن الغرفة لم يكن بها سوى رجال .

ثم سمعته يقول بصوته الذي صار

- (ياسين العوضى) .. إفراج .

لم يكن صوته جميلاً .. بل الكلمات - التى تفوه بها - هى الجميلة !

نهضت من مكانى .. لا أصدق نفسى .. لابد أنه يمزح .. ولكن وجهه الصارم لا يعطى ذرة احتمال للزحاح .

خرجت بسرعة قبل أن يرجعوا فى قرارهم .
عندما قابلت المحامى قال :

- حظك كان جيداً .. لم يجدوا لك أى بصمة فى عيادة د.(نجيب) .
- حسناً .. ولكن هذا ليس دليلاً كافياً لإخراجى .. ربما استخدمت قفازات لارتكاب الجريمة .

ضحك المحامى و قال :

- هل أنت غاضب من إفراجهم عنك ؟ هل تريد العودة إلى السجن ؟

- لم أقل هذا .. ولكنى أريد أن أفهم ما حدث .

طالع بعض الأوراق أمامه على المكتب وقال : بدء

- الحكاية تتلخص فى أنهم توصلوا إلى القاتل الحقيقى ..
وجدوا بصماته على سلاح الجريمة .
تنفست الصعداء و قلت :

- هكذا إذن .

لم يعلق فسألته :

- ومن هو ؟

- ماذا ؟

- من هو القاتل ؟

- إنه طبيب نفسى .

طبيب نفسى ! .. هل هذا معقول ؟ سألته :

- من هو ؟ أخبرنى باسمه .

- أعتقد أنك تعرفه .. فهو يعمل معك فى نفس المستشفى ..
وربما يكون صديقك .

قلت له بغیظ :

- أخبرنى باسمه فوراً .

نظر في ورقة صغيرة أمامه وقرأ الاسم المدون عليها :

- اسمه (مجدى صادق) .

شعرت أن الدم يهرب من عروقي .. إن المتهم هو د. (مجدى)

صديقى .

* * *

قال د. (مجدى) وهو يجلس على كنية صغيرة فى حجرة

الضابط :

- أنقذنى يا صديقى .. أنا فى ورطة كبيرة .. الأدلة ضدى .

ربت على كتفه وقالت له :

- اهدا .. وسوف نجد حلاً إن شاء الله .

أمسك كتفى بقوة وقال :

- لا بد أن تصل للقاتل .. لا بد .

ثم وضع رأسه على كتفى وبكى .. ألمنى كثيراً أن أراه

هكذا .. قلت له بصدق :

- أعدك أنى سأبذل قصارى جهدى للوصول إلى القاتل ولكن

يجب أن تساعدنى .

- كيف ؟

- اشرح لى ما حدث .. ولماذا اتهموك فى قتله .

- سأشرح لك كل شىء .

- أولاً أخبرنى .. لماذا وجدوا بصماتك على سلاح الجريمة ؟

- وكيف لى أن أعلم أنه سيكون سلاحاً لجريمة ؟ .. إنه

مجرد تمثال .

- أتقصد تمثال (سيجموند فرويد) ؟

- بالضبط .. كيف عرفت ؟ هل زرتة أنت أيضاً ؟

- نعم .. وكنت آخر زائر لعيادته ولهذا اتهمونى قبلك بقتله .

- هل اتهمت فى قتله ؟

- نعم .. ولكنهم أفرجوا عني عندما توصلوا لصاحب البصمات

الموجودة على سلاح الجريمة .. لم أكن أتخيل أنه سيكون أنت .

- نعم .. أنا صاحب هذه البصمات .. أعترف أنى أمسكت هذا التمثال .. ولكنى لم أحطمه على رأس د.(نجيب) .. لقد أعجبت بالتمثال - أثناء الجلسة - فأمسكته لأتأمله ثم وضعته ثانية .. أنت تعرف هوسى بالتمثيل وفن النحت .
- هل رآك أحد وأنت تمسكه ؟
- د.(نجيب) فقط .
- متى كانت زيارتك له ؟
- يوم الاثنين الساعة الرابعة .
- ما هذا ؟! لقد زرتة فى نفس اليوم ولكن فى الساعة العاشرة .. لقد ذهبنا نحن الاثنان فى نفس اليوم .
- أعتقد هذا .. ولكنى المتهم فى قتله .. أنا متهم بسبب إعجابى بالتمثال .. لىتنى لم أعجب به .
- لا تقلق يا صديقى .. سأبحث عن القاتل .
- الموضوع أعقد مما تتصور .
- لا تقل هذا .

- يبدو أنك لا تعلم شيئاً عن تقرير الطبيب الشرعى .
- ما الأمر ؟! أخبرنى .
- ابتلع ريقه وقال :
- لم يجدوا أى بصمات فى العيادة كلها سوى بصماتى .

* * *

20 - الممرضة ..

قالت د. (ريهام) لى وأنا أجلس فى عيادتها :

- جريمة قتل محيرة .. كيف يمسح القاتل جميع البصمات من مسرح الجريمة ويترك البصمات الموجودة على التمثال سلاح الجريمة ؟

فكرت معها وقلت :

- هناك احتمالان .. إما إنه كان يرتدى قفازًا أو لا .. فإذا كان يرتدى قفازًا فلماذا يمسح جميع البصمات الموجودة فى العيادة ؟ .. وإذا كان لا يرتديه فلماذا لم يمسح البصمات الموجودة على التمثال طالما أنه مسح جميع البصمات الأخرى ؟

- بالتأكيد كان يرتدى قفازًا .. وإلا لظهرت بصماته على التمثال أيضًا .

قلت ببساطة :

- أعلم .. أنا أفكر فى الاحتمالات فقط .

لم تهتم بما قلته وقالت :

- إذا كان يرتدى قفازًا فهذا يعنى أنه كان يخطط للجريمة .. لكن لماذا استخدم التمثال للقتل إذا كان قد خطط لجريمته ؟ .. لماذا لم يجهز سلاحًا كالمدس أو السكين ؟ .. إن استخدام التمثال يدل على أن الجريمة كانت عشوائية .. لم تكن مقصودة .

- وربما أراد ذلك .. أراد استخدام التمثال ليوهنا أنها جريمة عشوائية .

يبدو أنها لم تهتم بما قلته مرة أخرى .. وتابعت :

- إذا كان السؤال (لماذا يمسح القاتل جميع البصمات الموجودة بالمكان ؟) فالإجابة (لأن بصماته كانت موجودة قبل ارتكاب الجريمة) .. لذا عندما أتى لتنفيذ جريمته كان يرتدى قفازًا وبعد ارتكابه لها مسح جميع البصمات خشية أن تعثر الشرطة على بصمات له .. فيصبح من المشتبه فيهم .

- وطالما أنه لم يكتف بتنظيف الغرفة فقط .. مسرح الجريمة .. فهذا يعنى أن بصماته موجودة فى كل مكان بالعيادة .. فمن يكون هذا الشخص ؟

قلنا في نفس واحد :

- الممرضة .

ثم قلت :

- ولكن لا .. لو أن الممرضة هي القاتلة فلماذا تمسح بصماتها من العيادة ؟ فمن الطبيعي أن تكون بصماتها في كل مكان بها .. ولن تشك الشرطة فيها حتى لو وجدت بصماتها في مسرح الجريمة نفسه .. وهذا ما حدث بالفعل .. لأنها أول من اكتشفت جريمة القتل .. لذا كانت بصماتها موجودة .

- ما يحيرني أيضًا موضوع بصمات د. (مجدى) على التمثال .. لماذا ترك القاتل هذه البصمات ؟ هل كان يعلم أن د. (مجدى) له بصمات على التمثال ؟

- أتقصد أن القاتل كان يعلم وأراد توريطه في الجريمة ؟

* * *

قال د. (مجدى) لى أثناء زيارتي له :

- ليس لى أعداء .

قلت له بهدوء :

- تذكر .. حاول التذكر .. بالتأكيد لك أعداء .. أنت لست ملاكًا .

- ربما لدى أعداء ولكن لا أعتقد أن أحدهم يفكر في توريطي

في جريمة قتل .

سألته :

- كيف توصل الطبيب الشرعى لأنك صاحب البصمات ؟

- عندما وجدوا البصمات .. شكوا في جميع الأطباء النفسيين ..

اعتبروهم الأعداء الوحيدين للمرحوم .. وهكذا بحثوا عنا وعرضوا

صورنا على الممرضة فكانت تتعرف علينا واحدًا واحدًا .. اتضح

أن أطباء نفسيين كثيرين زاروا د. (نجيب) في عيادته .

- هل كانوا مرضى ؟

- لا أعلم .. ربما كانوا مرضى وأرادوا العلاج عنده ..

ربما ذهبوا ليعرفوا سر نجاحه .. مثلى ومثلك .. وربما كانوا

متضايقين من شهرته فذهبوا ليهددوه بالقتل لكى يغلّق عيادته

مثلًا .. أو يغروه بالمال لكى يسافر .. الله أعلم بنفوس البشر ..

ولكنى أعتقد أن القاتل واحد من هؤلاء الأطباء

- لماذا تقول هذا ؟

- الجريمة لم تتم بدافع السرقة .. كان قتل مع سبق الإصرار والترصد .. والشئ الوحيد المسروق من العيادة هو دفتر الحالات .. لماذا يسرق القاتل دفتر الحالات إلا إذا كان طبيباً نفسياً ويريد الاستفادة مما كتبه المرحوم في دفتره ؟

- أو ربما سرقه لأن اسمه به .. ربما كان القاتل مريضاً عند د. (نجيب).

- إذا استطعت العثور على هذا الدفتر فبالتأكيد ستعرف القاتل .. ستجد اسمه به .. أو ستجد الدفتر عنده .

* * *

سألت الآنسة (شيرين) ممرضة د. (نجيب الشارودي) :

- هل معك نسخة أخرى من الدفتر المسروق ؟

- لا .. كنت أسجل الأسماء والمواعيد في دفترى .. أما

د. (نجيب) كان يسجل الأسماء مع وصف الحالة تحت كل اسم .. وللأسف الدفتران سرقا .

- هل تشكين فى أحد ما ؟

قالت بعدوانية شديدة :

- أشك فى الأطباء النفسيين .. لأنهم أول من يستفيدون من موته .

سألتها :

- كم طبيباً نفسياً زاره فى عيادته ؟

- كثير .

- كم ؟

- خمسون تقريباً .

لم أتوقع مثل هذا الرقم الكبير .. كيف سأقوم بتحري عن كل هؤلاء ؟ .. سألتها مندهشاً :

- إذا كانوا خمسين فكم عدد المرضى الذين عالجهم وليسوا أطباء ؟

تنهدت وقالت :

- العدد بالمئات وربما تعدى الألف .

إن عدد المشتبه فيهم كثير جداً .. كيف سأتوصل إلى

القاتل ؟ .. قالت :

- لقد كان يعالج الكثير يوميًا لقد كان طبيبًا ممتازًا ..
خفف آلام الكثير .. لماذا قتلتموه ؟ لماذا ؟ هل استرحتم الآن بعد
موته ؟

صحت غاضبًا :

- لماذا توجهين الكلام إلى ؟

نظرت لي غاضبة و قالت :

- ألسنت طبيبًا نفسيًا ؟ ألم تفكر مثلهم في التخلص منه ؟ .. هل
استرحت الآن ؟ هل امتلأت عيادتك بالمرضى الآن ؟
نظرت لها لأتأمل انفعالها عندما أقول :

- معك حق .. الأطباء النفسيون هم المستفيدون من قتله ..
كلهم موضع اشتباه .. وربما فكر أحدهم في قتله .. واستخدمك
لتنفيذ الجريمة .

فوجئت بتوجيه الاتهام لها فقلت بتعجب :

- أنا ؟! كيف ؟ ولماذا ؟ .. لقد تضررت كثيرًا من موته .. لقد
كنت أعمل عنده ويعطيني راتبًا ضخماً .

- ربما وعدوك براتب أكبر .

قالت بلهجة قوية :

- لم أكن لأوافق حتى لو دفعوا لي مال الدنيا .

شعرت أنها تقول الحقيقة .. سألتها :

- كم عدد الأطباء النفسيين الذين زاروه في اليوم الأخير ؟

صمتت للحظات محاولة التذكر :

- ثلاثة .. أنت و د. (مجدى) و ..

- و .. من ؟

- د. (صقر الشاذلى) . (*)

- د. (صقر) صديقي أيضًا ولا يمكنني أن أشك به .

- يا دكتور .. إن القاتل سيكون طبيبًا نفسيًا .. لذا من المحتمل

أن يكون أحد أصدقائك إلا إذا كنت تعتبر زملاء المهنة أعدائك مثل
د. (نجيب) .

قلت غاضبًا :

(*) راجع العدد الثانى : (حالة بارانويا)

- لم أعتبر د. (نجيب) عدوًا .. بالعكس أحببته .. لقد عالجني ..
لقد بهرني بنجاحه وشهرته .. لذا أتمنى أن أكون مثله .. ولكني
لم أتمن موتَه قط .
- ظلت صامتة لثوانٍ ثم قالت :
- آسفة ..
- لا تتأسفى .. أنا أقدر الظروف .
- ثم سألتها :
- هل تتذكرين أسماء الذين أتوا يوم الاثنين ؟
- معظمهم و ليس كلهم .
- ولكنك أخبرتني أنك تحفظين وجوه الذين يأتون يوم الاثنين .
- أحفظ وجوههم .. نعم .. أى أنك لو ذكرت أسماءهم سأذكر
أشكالهم أو إذا رأيت صورهم سأذكر أسماءهم .
- حسنًا .. اكتبى لى قائمة بالذين زاروه يوم الاثنين .. أعرف
أنك لن تتذكرهم جميعًا ولكن اكتبى الذين تستطيعين تذكرهم .
- سأفعل .. ولكن لا أعتقد أن القاتل أحد منهم .
- لماذا ؟

- إنهم أثرياء .. ما الذى يجعلهم يفكرون فى قتل طبيب نفسى
كان يعالجههم ؟
- دوافع القتل كثيرة .
- ثم تذكرت سؤالاً مهماً :
- هل كان له أعداء ؟
- طبعًا .
- قلت بسرعة :
- أقصد غير الأطباء النفسيين .
- صمتت .. ضايقتى صمتها .. هذا يعنى أنها كانت تقصد الأطباء
النفسيين بالفعل .
- سألتها :
- هل حدث يوماً و تشاجر مع مريض عنده ؟
- كثيرًا .. ولكنها خلافات ومشاحنات عادية .. لا أعتقد أنها
تدفع للقتل .
- لا تنسى أنك تتحدثنى عن مريض نفسى .

- ولا تنس أنك أحدثت شجارًا معه فهل هذا يعنى أنك ضمن المشتبهين ؟

- من الواضح أننا لن نتفاهم .. أنا أحاول البحث عن قاتل د.(نجيب) وأنت لا تساعدننى .. بل تكتفين بإلقاء التهمة على وعلى الأطباء النفسيين .

صمتت فسألتها :

- هل تريدين مساعدتى أم لا ؟

- أريد .

سألتها :

- كيف اكتشفت مقتله ؟ لقد سمعت أنك أول واحدة رأت الجثة .

- لقد جئت فى صباح يوم الثلاثاء لأفتح العيادة .. وجدت الجثة .. اتصلت بالشرطة .. هذا كل شئ .

- هل دخل أحد بعدك قبل وصول رجال الشرطة ؟

- لا .. لقد أغلقتها لحين وصولهم .. كنت أريد أن أحافظ على مسرح الجريمة كما هو .

- تفكير سليم ! كيف فكرت بهذا فى هذه اللحظات العصبية ؟ !
إن الفرد فى لحظات كهذه يفقد تركيزه ويلوث مسرح الجريمة بعشرات البصمات .

نظرت لى بغموض وقالت :

- من الواضح أننا لن نتفاهم فعلاً .. أنت تشير الآن إلى تورطى فى الجريمة .

- لم أقصد .. ولكنى أتساءل : كيف مسح القاتل كل البصمات الموجودة بالشقة ؟ وكيف وجد وقتاً لكل هذا ؟ ولماذا قام بمسحها ؟

فاجبتى قائلة :

- أنا أعرف تفسير ذلك .

قلت لها متعجباً :

- هل تعرفين التفسير حقاً ؟

وكان لديها تفسير بالفعل .

21 - التفسير ..

قالت الأنسة (شيرين) ممرضة د. (نجيب) :

- عندما جاءت الشرطة لم تجد سوى بصماتى وبصمات المرحوم .. وبصمات د. (مجدى) على التمثال .. لم تكن هناك أى بصمات أخرى .

- والسبب ؟؟

أخذت شهيقاً عميقاً ثم أطلقتته وقالت :

- لم يمسح القاتل أى بصمات .. إن المرحوم هو الذى فعل .. ماذا ؟

- سأخبرك سراً .. ولكن أريدك ألا تخبر به أحداً .

- تفضلى .

- إن د. (نجيب الشارودى) كان لديه اهتمام شديد

بالنظافة .. لذا فى نهاية كل يوم يقوم بتنظيف العيادة جيداً ولا يترك فيها بصمة واحدة .

- هذا ليس مجرد اهتمام .. هذا هوس (Obsession) .

- بالضبط .

- إذا افترضنا أن جريمة القتل تمت بعد قيام د. (نجيب) بتنظيف العيادة كلها فلماذا ترك بصمات د. (مجدى) على التمثال ؟

- ربما لم ينتبه د. (نجيب) لها ونسى أن د. (مجدى) أمسك التمثال .. أو ربما دخل القاتل العيادة وقتله قبل قيامه بتنظيف التمثال .

قلت لها بسعادة :

- هذا يفسر كثيراً من الأمور .. إذن د. (نجيب) هو الذى مسح جميع البصمات لأنه مهووس بالتنظيف .. وبصمات د. (مجدى) ظلت على التمثال لأن د. (نجيب) نسى مسحها أو لم يجد وقتاً لذلك .. ثم جاء القاتل الذى كان يرتدى قفازاً وضرب المرحوم بالتمثال .. وطبعاً لم يكن ينوى قتله بدليل أنه لم يحمل أى أسلحة معه .. لذا من المرجح أنه كان ينوى السرقة فقط .. لكنه لم يسرق أى شىء من العيادة سوى دفاتر المرضى .

- لماذا يسرقها ؟ لماذا ؟ .. أعتقد أن القاتل طبيباً نفسياً ويريد تعلم أشياء منها .

- أو يريد إخفاء المعلومات التى بها .

- كيف ؟

- هناك مرضى لا يحبون أن يعرف أحد أنهم ذهبوا للطبيب نفسى .

Looloo

www.looloo.com

- نعم .. ولهذا يخترعون أسماء مزيفة .. ولكننا لا نسمح بذلك
فى العيادة .

- ربما هذا هو السبب .. ربما أراد سرقتها حتى لا يعلم أحد
بزيارته لكم لكنه فوجئ بوجود د.(نجيب) فى العيادة فضربه
على رأسه .. لكن الضربة كانت قوية فقتلته .
- استنتاج معقول يا دكتور .

- وهناك مرضى لا يحبون أن يعرف أحد شيئاً عن أمراضهم .
- ما الذى تعنيه ؟

- ربما أراد القاتل سرقة دفتر د.(نجيب) الخاص بالمرضى
وتحليل أمراضهم .. أو أراد ألا يطلع أحد عليه ويعرف شيئاً عن
مرضه .

- لكن .. لماذا سرق دفترى وهو لا يحوى سوى الأسماء فقط ؟
- ربما سرقه للتضليل .. لكنه ليس مهماً بالنسبة له .
قالت بإحباط :

- ربما يكون استنتاجك صحيحاً ولكنه لن يوصلنا لشيء .
قلت لها بحسرة :

- لو كان لدينا هذا الدفتر لاستطعنا معرفة القاتل .. فهو بالتأكيد
أحد المرضى .

ضحكت بصوت عالٍ وقالت :

- هل تعتقد ذلك ؟ !

ثم واصلت ضحكها وتابعت قائلة :

- يا دكتور .. أنت لا تدرك الرقم جيداً .. إن عدد المرضى
الذين عالجهم د.(نجيب) بالمئات .. فحتى لو كان الدفتر لدينا فإن
عدد المشتبه فيهم كبير جداً جداً .

* * *

قلت لـ (وائل) :

- اعتذر للمرضى .

قال مندهشاً :

- مرة أخرى !

- نفذ ما قلته يا (وائل) .

قال (وائل) متعجباً :

- يا دكتور .. أليس هذا ما كنا نتمناه ؟

قلت بغضب :

- أتقصد موت د.(نجيب) ؟ !

- لا بالطبع .. أنا أقصد كنا نتمنى عودة المرضى للعيادة ..

وها هي العيادة عادت لسابق عهدها بعد موت د. (نجيب) .. ولكنك حتى الآن لم تقابل مريضاً واحداً .. تعتذر كل مرة .

- لا أستطيع التركيز مع المرضى الآن .. عقلى مشغول بالبحث عن القاتل .. صديقى د. (مجدى) فى السجن ولا بد أن أساعده .

- حسناً .. إلى متى سنظل نعتذر للمرضى ؟

لم يتلق جواباً منى .. فخرج فى هدوء .

* * *

سمعت طرقات على باب الغرفة فقلت :

- ماذا يا (وائل) ؟

فتح (وائل) الباب ودخل .. فقلت له :

- ألم أقل لك اعتذر للمرضى ؟

- إنها السيدة (ماجدة) جارتنا .. مصممة على الدخول .

- قل لها أننى لست موجوداً .

- ولكنى أخبرتها أنك موجود .

- قل لها أنك وجدتنى نائماً .

سمعت صوتها وهى تقول ضاحكة :

- ولكنك لست نائماً يا دكتور .

نهضت قائلاً :

- أهلاً بك .

صافحتنى قائلة :

- ما بك يا دكتور ؟

- أنا آسف جداً .. ولكن لا أستطيع مقابلة أى مريض الآن .

قالت مبتسمة :

- ولكنى لست مريضة يا دكتور .. أنا جارتك .

- ولا أستطيع مقابلة أى جيران الآن .

وكانها لم تسمعنى جلست السيدة (ماجدة) على المقعد أمام المكتب بينما خرج (وائل) من الغرفة .. تنهدت وعدت لمقعدى وسألتها :

- ما الأمر ؟

- لا شىء .. لقد شعرت بالملل .. ففكرت فى زيارتك .

صحت غاضباً :

- ملل !

ثم نهضت من مكانى و صحت :

- أنا مشغول بصديقي المتهم فى جريمة قتل و مثل هذه التهمة
ستقضى على سمعته ومستقبله وحياته .. وأنت تفكرين كيف
تقضين على الملل !

قالت مندهشة :

- صديقك وجريمة قتل ! من تقصد ؟

- صديقى د.(مجدى) متهم فى جريمة قتل د.(نجيب) .

قالت منزعجة :

- د.(نجيب الشارودى) !

- هل تعرفينه ؟

- نعم .. هل مات حقاً ؟

- لقد قُتل .. وصديقى متهم فى قتله .

قالت متعجبة :

- من هذا الذى يفكر فى قتل هذا الطبيب المعجزة ؟

- يبدو أنك تعرفينه جيداً .

قالت بتردد :

- نعم .

- هل ذهبت إلى عيادته ؟

أدارت وجهها وقالت بصوت خافت :

- لا .

شعرت أنها تكذب .. تعتقد أنى سأضايق لأنها زارت طبيباً
نفسياً آخر .. قلت لها :

- قولى الحقيقة .. لن أغضب منك .

نظرت لى وقالت :

- نعم ذهبت إلى عيادته ولكنها مرة واحدة فقط .

- هو دائما يعطى جلسة واحدة فقط للمريض .

- نعم .. كيف عرفت ؟

- إنه حديث المدينة .. الجميع يتحدث عنه .

ثم ضحكت قائلاً :

- ثم إننى أيضا ذهبت إلى عيادته .

قالت بفضول شديد :

- حقاً ! لماذا ذهبت إلى هناك ؟

- لأتعرّف عليه .. وأنت ؟

صمتت فسألتها :

- من أجل الأحلام ؟

- نعم .

- أما زلت تعانين منها ؟

- لا .

- كيف ؟

- لقد عالجني .

- كيف ؟ هل منع أحلامك من التحقق ؟ أم جعلك لا تحلمين ؟

التقطت نفساً طويلاً ثم أطلقتها وقالت :

- إن أحلامي تتحقق .. لا يمكن لأحد منعها من ذلك .. وأنا أحلم
بجمل ليلية ولا يستطيع أحد إيقاف الأحلام .

- ولكنك أخبرتني أنك لا تحلمين منذ خروجك من الغيبوبة .

- كنت أكذب عليك حتى أطمئنك ولكن الكوابيس ظلت تطاردني
وأراها تتحقق كل يوم أمامي .. وفجأة سمعتك تتحدث مع (وانل)
عن طبيب شهير اسمه د. (نجيب الشارودي) .. فقررت زيارته ..
وبالفعل عالجني .

- كيف ؟

- فهم مشكلتي جيداً .. ثم وضع يده على رأسي وقال : (لن
تتذكرى أى أحلام تحلمين بها بمجرد استيقاظك).

ثم صمتت فسألته :

- أكملنى .

- هذا كل شيء .. كان طبيباً عبقرياً .. لقد عرف أنه لن يستطيع
منع أحلامي من التحقق .. ولن يستطيع منعى من النوم ومن
رؤية الأحلام .. لقد رأى أن الحل الأمثل هو ألا أتذكرها .. هكذا
يمكننى أن أحلم بأى شيء ولكنى لن أقلق من تحقق الحلم لأنى
لن أتذكره أصلاً .

فكرت للحظات وقلت :

- تقولين أنه وضع يده على رأسك و فقط .. هذا كل شيء ؟

- نعم .. كان رجلاً مبروكاً .

- مبروكاً !

ثم تذكرت ما فعله معى .. لقد وضع يده على كتفى وقال (لن
تخاف من الكلاب بعد الآن) .

إن د. (نجيب الشارودي) كان يستخدم العلاج بالايحاء
(Hypnotherapy) .. ولكنه كان بارعاً جداً فيه .. هذا هو سر

نجاحه ..

هذا هو التفسير .

Looloo

www.dvd4arab.com

22 - حالة الفراشة البيضاء ..

قالت السيدة (ماجدة) :

- د. (نجيب الشارودي) كان طبيبًا عبقرياً .

ثم نظرت لى .. وقالت :

- وأنت أيضًا يا دكتور .. طبيب عبقرى .

سألته باهتمام :

- أيعنى هذا أنك مازلت تحلمين ولكنك لا تتذكرين أحلامك الآن ؟

قالت بسعادة :

- نعم .. الحمد لله .. لقد حل د. (نجيب) المشكلة .

فكرت للحظات و قلت :

- تقولين أنك حلمت بعد خروجك من الغيبوبة ورأيت أحلامك

تتحقق كالعادة .

- نعم .. كلها تحققت .. أما الآن فأنا أحلم ولا أتذكر أحلامي ..

ولكن هذا لا يمنع تحققها .

- وتنسين أحلامك بمجرد استيقاظك !

- نعم .. وأحيانًا كثيرة أقوم من نومي مفزوعة بسبب رؤيتي
لكابوس شنيع لكن بمجرد استيقاظي لا أتذكر شيئًا منه .. وأحيانًا
أستيقظ سعيدة جدًا بسبب ما حلمت به ولكنى لا أتذكر الحلم .

فكرت قليلًا ثم سألتها :

- هل حلمت بموت أحد وتحقق الحلم ؟

- نعم .

- هل أخبرت أحدًا بالحلم قبلها ؟

ضحكت قائلة :

- لقد تعلمت الدرس .. لذا لم أعد أخبر أحدًا بأحلامي حتى لا
يحققها .. ورغم ذلك يتحقق الحلم .. وهذا يعنى أن أحلامي تتحقق
دون محقق أحلام .

ثم نظرت لى قائلة بابتسامة خافتة :

- ولكنك طبعا لن تقتنع بما أقوله كالعادة .

الغريب أننى بدأت أقتنع .. سألتها :

- هل حلمت بموت د. (نجيب الشارودي) ؟

لوت شفتها السفلى وقالت :

- ربما .

.. ماذا ؟

.. ربما أكون حلمت به ولكنى لا أتذكر .. لقد كنت أتذكر أحلامي حتى قابلت د.(نجيب) .. فلو حلمت به لأنى قابلته فلن أتذكر الحلم لأنه عالجنى .

فكرت ثم قلت لها :

.. هناك احتمال قوى أن تكونى قد حلمت به .. لأنك تحلمين دائماً بمن قابلتهم .. وربما حلمتى بمقتله .. لأنك دائماً تحلمين بحوادث و كوارث ومصائب .

.. الله يحفظك .

.. لكنك لا تتذكرين الأحلام !

.. بالضبط .

شعرت أنى أمسك طرف خيط ضعيف للوصول إلى القاتل .. ولكنه خيط على أى حال .. لابد أن أفعل المستحيل لإتقاذ صديقى .. سأجرب كل الطرق .. سأستخدم المعقول واللا معقول حتى أصل للجانى .. قلت لها :

.. أنا لدى الحل لتذكر أحلامك .

* * *

السيدة (ماجدة) .. الفراشة البيضاء .. ظلت تحلم بأحلام سوداء ولكنها غيرت جلدھا وصارت بيضاء أو ملونة .. خبات ما تعانيه حتى لا تضايق طبيبھا .

كانت تعلم أن أحلامها لا تزال تتحقق ولكنها لم تخبر أحداً سوى د.(ريهام) .

والآن صرت أنا أيضاً أفكر مثل الفراشة البيضاء .. ربما أحلامها تتحقق بالفعل .

وهكذا اصطحبتها إلى عيادة د.(صقر الشاذلى) .. الطبيب النفسى والخبير فى التنويم المغناطيسى .. قلت له وأنا أجلس معه فى عيادته :

.. العيادة صارت ممتلئة من جديد .

ابتسم قائلاً :

.. نعم .. الحمد لله .. أتعلم أننى كنت قد فكرت فى تحويلها إلى مشروع تجارى ؟

.. سبحان الله .

قال وهو يعدل من وضع نظارته :

- مصائب قوم عند قوم فوائد .. ولكم يحزننى مقتل ذلك الطبيب النابغة .. ولكم يسعدنى موته .
- لم أعلق على جملته .. وقلت :
- عرفت أنك ذهبت إلى عيادته يوم مقتله .
- ابتسم ابتسامة جانبية وقال هامسًا :
- لا تخبر مرضاى بهذا .
- ضحكت .. سألتنى بحيرة :
- ولكن .. كيف عرفت ؟!
- لأننى كنت هناك فى نفس اليوم أيضًا .
- داعبنى قائلاً :
- إذن أنت الذى قتلته .
- أرجوك .. لا تمزح فى هذا الشأن فربما يسمعك أحدهم ويصدق .
- ثم سألته :
- لماذا زرتك ؟

- قال بغموض :
- لكى أعرف السر .. وأعتقد أنك زرتك لنفس السبب .
- وهل عرفته ؟
- قال بغموض أكثر :
- نعم .
- عيناه الخضراوان تخبرانى أنه يقول الصدق .. فلما أنه يقول الصدق بالفعل أو أنه بارع فى استخدام عينيه ! .. سألته بلهفة :
- وما هو السر ؟
- وهل تعتقد أنى سأخبرك به ؟!
- قلت له بخفيث :
- أنت لا تعرف السر .
- أجابنى وقد شعرت بالصدق فى كلماته :
- بل عرفته .
- قلت له محاولاً الوصول للسر :
- إنه يستخدم العلاج بالإيحاء .. أليس كذلك ؟

صمت .. فقلت له :

- إنه يستخدم التتويم المغناطيسى مثلك .

صمت لدقيقة ثم قال :

- لا أنكر أنه يستخدم كل هذا ولكنه كان بارعاً حقاً .. فلو أن الأمر يقتصر على التتويم المغناطيسى فقط لصرت فى شهرته .

- ما الأمر إذن ؟ كيف يعالج مرضاه ؟ ما هو السر ؟ هل أخبرك به ؟

- نعم .

- وما هو ؟

قال بغموض :

- لقد أخبرنى به بالفعل .. ولكنه جعلنى أنساه .

* * *

كانت السيدة ماجدة تنتظر خارج الغرفة ودخلت عندما استدعيتها .. قلت لصديقى د. (صقر) :

- أعرفك بالسيدة (ماجدة راغب) .. هذه هى التى ستوصلنا لقاتل د. (نجيب) .

وشرحت له المسألة كاملة فقال لى وهو يعدل من وضع نظارته للمرة الأربعين :

- هل تريدنى أن أستخدم التتويم المغناطيسى لكى تتذكر أحلامها دائماً ؟

صحت أنا والسيدة (ماجدة) فى نفس واحد :

- لا!!!!!!

انزعج د. (صقر) من صياحنا المفاجئ .. فقلت له :

- لقد أنقذنا د. (نجيب) من مسألة الأحلام .. لقد عالجه

بحكمة .. جعلها لا تتذكر أى أحلام بمجرد استيقاظها .. ونريدها

أن تظل هكذا طول عمرها .

شيك ذراعيه أمامه وقال :

- حسناً .. ما هو المطلوب منى بالضبط ؟

- نريدها أن تتذكر - خلال جلسة التتويم المغناطيسى - الأحلام

التي رأتها بعد زيارة د. (نجيب) .. فربما استطعنا معرفة القاتل .

سألنى د. (صقر) متعجباً :

- هل يعنى هذا أنك مقتنع يا د. (ياسين) بأن أحلامها تتحقق ؟

نظرت السيدة (ماجدة) لى باهتمام منتظرة إجابتي .. لكنى لم أرد وسألته :

- هل فهمت ما هو المطلوب منك يا د. (صقر) ؟

قالت السيدة (ماجدة) وفى عينيها نظرة تحد واضحة :

- أجب سؤاله .. هل أنت مقتنع بأن أحلامى تتحقق ؟

أطلقت تنهيدة وقلت لها :

- لو أننى لست مقتنعا لما أحضرتك إلى هنا .. ولما ساعدتك على تذكر أحلامك .

فكرت .. يبدو أن كلمائى المنطقية أقنعتها أما د. (صقر) فقال يؤيدنى :

- معه حق .

قالت بعناد :

- ولكنى أريد أن أسمعها صريحة منك .. أريدك أن تعترف بلسانك أمامى الآن .

- سأعترف .. إذا استطعنا الوصول للقاتل عن طريق أحلامك .

- لا .. اعترف الآن .

- لا .. سأعترف بعد ذلك .

شيكيت ذراعيها أمامها فى عناد طفولى وقالت بغضب :

- حسنا .. لن أخضع للتتويم المغناطيسى إلا إذا اعترفت .

السيدة (ماجدة) .. سيدة الأحلام .. لم تتغير .. لازالت سعيدة بامتلاكها ما تسميه (الحاسة السادسة) .. تريد اعترافا صريحا منى بقدرتها على التنبؤ بالمستقبل .. عن طريق أحلامها .. قلت لها لأنهى هذا الأمر :

- أعترف أن أحلامك تتحقق .

ظهرت سعادة كبيرة على ملامحها ، كأنها فى يوم عرسها لدرجة أنى توقعت أن تنهض من على الشيزلونج لترقص ، ثم قالت :

- أنا مستعدة يا د. (صقر) .

* * *

23 - الطباخ ..

قال د.(صقر) وهو ينظر في عيني السيدة (ماجدة) وهي مسترخية تماماً على الشيزلونج :

- هل ذهك صاف الآن ؟

أجابت بهدوء شديد :

- نعم .

صوتها كان غريباً .. كأنه يأتي من أعماق سحيفة .. سألتها :

- هل تحلمين ؟

- نعم .

- هل تتذكرين أحلامك ؟

- نعم .

- هل حلمت بعد زيارتك لعيادة د.(نجيب) ؟

- نعم .

- هل تتذكرين هذه الأحلام ؟

- لا .

قال د.(صقر) بصوت عميق :

- حاولي التذكر .

صمتت لدقائق ثم انتفض جسدها فجأة .. يبدو أن أحلامها شنيعة كالعادة .. سألتها :

- هل تذكرت ؟

قالت بخوف :

- نعم .

- ما الذي تذكرته ؟

ظهر الرعب في عينيها المفتوحتين الغائبتين في عالم آخر .. قالت :

- أحلام كثيرة جداً .

انتفض جسدها مرة أخرى و قالت :

- كوايبس شنيعة .. أرى أناساً يموتون .

قال د.(صقر) بهدوء :

- حسناً .. هل هناك حلم به د.(نجيب) ؟

ارتعش جسدها و قالت :

- نعم .

- تذكرى هذا الحلم .. تذكره جيدا .

عينها ترتجفان برعب .. فسألها :

- ما الذى تريئه ؟

- أرى د.(نجيب) يكنس عيادته .

نظر د.(صقر) متعجبا لى فهزرت رأسى بمعنى (استمر .. لا تقلق) .. لقد كنت سعيدا جدا بما قالته .

د.(صقر) كان متعجبا لأنه لا يصدق هذا الحلم .. أما أنا فأصدقها لأننى علمت أن د.(نجيب) - رحمه الله - كان مولعا بالنظافة .. كان ينظف عيادته كل ليلة بعد خروج المرضى .. ولهذا لم نجد أى بصمات فى مسرح الجريمة .

الغريب أنه كان يعالج المرضى من أشياء عجيبة كهذه لكنه لم يعالج نفسه من هذا الهوس .. قال د.(صقر) :

- أكملى .

- أسمع صوت جرس الباب .

لا بد أنه القاتل .. وهذا منطقى .. إن القاتل دخل من الباب .. لا توجد أى آثار اقتحام وهذا يعنى أن القاتل فتح الباب للقاتل بنفسه .. أو أن القاتل كان لديه نسخة من مفاتيح العيادة .

أكملت السيدة (ماجدة) قائلة :

- فتح د.(نجيب) الباب .. كان الطباخ هو الطارق .

الطباخ مرة أخرى ! لابد أن تتوقف هذه السيدة عن مشاهدة برنامج (طبق اليوم) .. نظر د.(صقر) لى وقال مندهشا :

- طباخ !

قلت لها :

- أكملى .

نظر د.(صقر) لى بغضب بطريقة (فلتأت مكانى وأخرج أنا) فنظرت له بمعنى (أسف .. لن أتدخل مرة أخرى .. أكمل عملك) .. قال بهدوء :

- أكملى .

- ضربه الطباخ على رأسه بحلة .

- حلة !

لابد أنها تقصد التمثال .. ولكن لأنه طباخ فقد رأتها (حلة) .. اقتربت من د.(صقر) وقلت له هامسا :

- اسألها عن اسم الطباخ .

قال لى بهدوء :

- اسألها أنت .. تفضل يا دكتور .

إنه لا يمزح .. أمر عجيب ! كنت أعتقد أنه يتضايق من تدخلى .. على أى حال سألتها بهدوء :

- ما هو اسم الطباخ ؟ هل د. (نجيب) ناداه باسمه ؟
- لا .

- حسناً .. صفى لنا شكل الطباخ الذى تريده .

ووصفت لنا بالتفصيل ملامح الطباخ .

ملامح القاتل الحقيقى .

سألنى د. (صقر) :

- هل تحب أن تسألها أى أسئلة أخرى ؟

- نعم .

- تفضل .

نظرت لها وهى لا تزال تحت تأثير التنويم المغناطيسى وقتلت لها :

- هل حلمت بى ؟

ظلت صامته فسألها د. (صقر) قائلاً :

- هل حلمت بالدكتور (ياسين العوضى) ؟

- نعم .

سألتها :

- هل هذه الأحلام كانت بعد خروجك من الغيبوبة ؟

- نعم .

- هل تحققت ؟

- معظم الأحلام التى بها د. (ياسين) تحققت .

سألتها بقلق :

- كم عدد الأحلام التى لم تتحقق ؟

- حلم واحد فقط لم يتحقق بعد .

سألتها بقلق أكثر :

- ما هو هذا الحلم ؟

تأهبت جيداً لسماع ما ستقوله .. لقد توقعت أن تخبرنى بحادثة أو كارثة أو مصيبة ستحدث لى .. لقد اعتدت على أحلامها الشنيعة .. لكنها فاجئتنى قائلة :

- لقد حلمت أن د. (ياسين العوضى) يتزوج .

ابتسمت وسألتها بمرح :

- يتزوج من ؟ (نادين) ؟

- لا .

شعرت بالذعر و سألتها :

- من إذن ؟

24 - القتال ..

- سألت السيدة (ماجدة) بعد نهاية جلسة التتويم المغناطيسي :
- هل تتذكرين ما قلناه أو قلته أثناء الجلسة ؟
- لا .. أبدا .
- جيد .
- قال د.(صقر) :
- هذا طبيعي .. لقد كانت نائمة .. لذا لن تتذكر شيئا مما قالته
- ولن تتذكر الأحلام التي أخبرتنا بها .
- سألنا بتردد :
- وهل أخبرتكم بأحلامي ؟
- قلت لها بسعادة :
- نعم .
- وهل استفدتم من هذه الأحلام ؟
- لن نعرف الإجابة الآن .
- نظرت السيدة (ماجدة) بقلق لصديقي د.(صقر) وقالت :

- لقد جعلتني أتذكر أحلامي فهل هذا يعني أنني سأتذكر أحلامي دائما ؟

طمأنها قائلاً :

- لا .. لا تقلقى .. ستظلى كما أنت .. لن تتذكرى أى أحلام بمجرد استيقاظك .. وبالنسبة للأحلام التي تذكرتها أثناء الجلسة فلن تتذكرها أيضاً .
- لكنكما علمتما بها .

- نعم .

- حسناً .. أرجو ألا تخبرا بها أحداً .. لقد أخبرتكما أنتما الاثنین فقط بها .. فلو تحققت سأتهمكما بتحقيقها .

ضحكت قائلاً لها :

- اطمئنى .. لا نفكر فى تحقيقها .

ثم تابعت قائلاً :

- ولكنك نسيت نقطة مهمة جداً هو أنك لن تعرفى أننا حققناها .. لأنك من الأساس لا تتذكرينها .. لا تتذكرين أحلامك .

فكرت للحظات وقالت :

- هذا صحيح .

نظر د. (صقر) لى وقال بغموض :

- ألن تفكر فى تحقيق حلمها بشأن زواجك ؟

نظرت السيدة (ماجدة) قائلة بدهشة :

- هل حلمت بزواجك !؟

ضحكت قائلاً :

- نعم .

- بماذا حلمت ؟

قلت أنا و د. (صقر) فى صوت واحد :

- لن نخبرك .

- ماذا ؟ ما هذا ؟ أخبرونى بحلمى .

قلت لها مبتسماً :

- لقد طلبت منا منذ لحظات ألا نخبر أحداً بأحلامك .. أليس كذلك ؟

* * *

أخبرت الآنسة (شيرين) ممرضة د. (نجيب) بأوصاف الطباخ
القاتل .. وسألتها إن كان هناك مريض بهذه الأوصاف .. فقالت :

- هذه الأوصاف تذكرنى بالسيد (وجيه أبو الذهب) رجل
الأعمال الشهير .. ولكن هذا مستحيل .. إنه ثرى جداً .. ما الذى
يجعله يقتل د. (نجيب) ؟

قلت لها :

- سوف نعرف قريباً .

- ولكن .. هذا مستحيل ! مستحيل !

- هل كان موجوداً فى نفس يوم الجريمة ؟

- نعم .. فقد حجز لنفسه جلسة فى يوم الاثنين .. فهو ثرى جداً
لذا كان من الطبيعى أن يحجز لنفسه فى هذا اليوم .. أراد أن يلتقى
بالدكتور (نجيب) فى يوم هادئ .

- هل تعلمين مشكلته التى أراد أن يحلها له د. (نجيب) ؟

- لا .. هذه المعلومات سرية .. يعرفها الطبيب فقط .. ولكنى
أستبعده من دائرة الاشتباه .. إنه من أكرم المرضى الذين قابلتهم
فى العيادة .

- لماذا تقولين هذا ؟

- لقد دفع لى بقشيشاً ضعف ثمن الجلسة .

- حقاً ؟

- نعم .. وإن كان ضاع منى المبلغ يومها .. ولكن هذا لا يمنعنى من القول بأنه أعطانى أكثر من أى مريض قبله .

- حسناً .. أعتقد أنه المشتبه الوحيد أمامنا الآن .. إلا إذا كان هناك مرضى آخرون لهم نفس المواصفات .

فكرت قليلاً ثم قالت :

- سأحاول التذكر .

- التذكر .. حسناً .. لو لم تستطعى التذكر سوف نضطر إلى الذهاب معاً إلى د.(صقر الشاذلى) .

تم القبض على (وجيه أبو الذهب) بتهمة القتل .. وأثناء تفتيش فيلته تم العثور على دفتر المرضى الخاص بالمرضة .. أما الدفتر الآخر فقد تخلص منه فور سرقته .

كان الرجل يعانى من هوس السرقة (kleptomania) .. وبرغم ثرائه لم يستطع منع نفسه من السرقة .. لقد استحوذ الهوس على كيانه .. كان يسرق أى شىء أمامه .. ثم يتخلص من المسروقات فى أقرب سلة مهملات أو يشعل فيها النار .. ويحتفظ ببعضها

كتذكّار .. لم يكن يسرق من أجل المال .. بل كان يسرق من أجل إرضاء نفسه .. من أجل إسعاد نفسه .. كان يسرق من أجل المتعة .

كان مريضاً .

لذا ذهب إلى د.(نجيب الشارودى) لكى يعالجه من هذا الهوس .. كان الهوس لا يزال مسيطراً عليه و الدليل على ذلك أنه سرق البقشيش الذى أعطاه للممرضة .

البقشيش الذى أعطاه لها بنفسه .

و عندما قابل د.(نجيب) .. أخبره بمرضه .. وعالجه بالفعل .. حسب اعترافاته فى التحقيق .

د.(نجيب) كان يسجل دائماً حالات المرضى فى دفتره وهذا شىء ضايق (وجيه) جداً .. لم يكن يريد أن يعلم أحد بمرضه .. بهوسه .

لذا طلب من الدكتور أن يقطع صفحته أو يحو اسمه من دفتره أو يحو المرض ولكن المرحوم رفض تماماً .. رغم إغراء (وجيه) له بالمال .

وهنا خطط (وجيه) لسرقة الدفتر .. وللمرة الأولى يفكر فى السرقة دون متعة .

أعتقد أن الدكتور كان قد انتهى من تنظيف عيادته عندما سمع صوت جرس الباب .. ربما لم ينظف التمثال لأنه توقع أن يكون نظيفاً .

كان الطارق هو السيد (وجيه أبو الذهب) ..

طلب الأخير من الدكتور نفس الطلب مجدداً .. لكن الدكتور رفض .. فحاول سرقة الدفتر أمام عينيه .. ثم هشم التمثال على رأسه ليمتنعه من ملاحقته .. وفر هارباً .

كان يرتدى القفازات الجلدية الثمينة .. هذا دليل على أنه كان ينوى السرقة .. لم يكن يزوره زيارة ودية .

لقد عالجه المرحوم من هوس السرقة .. ولكن هذه السرقة الأخيرة لم تكن للمتعة .

وجدنا الأدلة (المسروقات) فى الفيلا .. وهكذا ذهب القاتل إلى السجن .. وخرج منه الرجل البريء صديقى د. (مجدى) ..

لقد نجا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل أحلام الفراشة البيضاء .

أحلامها كانت سبباً رئيسياً فى حدوث جرائم فيما مضى .. أما الآن فهى سبب فى إنقاذ برىء .

* * *

قال صديقى د. (مجدى صادق) وهو يحتضننى بقوة :

- لقد أنقذتني من حبل المشنقة .. لقد أنقذت حياتي .

قال د. (صقر الشاذلى) مبتسماً بسعادة :

- لا تنس أننى ساعدته .

قلت له :

- ولا تنس مساعدة السيدة (ماجدة) .. فلولا أحلامها لما استطعنا الوصول للقاتل .

قال د. (مجدى) :

- نعم .. هذه السيدة .. أريد أن أراها .. أريد أن أشكرها بنفسى .

قلت له :

- ولا تنس أن تشكر أيضاً الأنسة (شيرين) ممرضة د. (نجيب) والتى ساعدتنا عندما تذكرت أوصاف القاتل

قال د. (صقر) :

- إن أحلام السيدة (ماجدة راغب) تحققت بالفعل .. لقد رأت (وجيه أبو الذهب) وهو يقتل د. (نجيب) .
- بعض أحلامها يتحقق .. ليس كلها .
- إذا كانت أحلامها تتحقق فهل هذا يعنى أن حلم زواجك سيتحقق أيضًا ؟ هل ستتزوج
- قاطعته قائلاً :
- دعنا لا نتحدث فى هذا الموضوع .
- كنت أسأل فقط عن ..
- لا داعى من السؤال .. أنا أحب (نادين) ولا أفكر فى الزواج من غيرها .
- ولكنك شرحت لى أن خطوبتكما قد ..
- قاطعته قائلاً :
- سأفعل المستحيل لأتزوجها .. سوف أتزوج (نادين) إن شاء الله .

* * *

25 - المكاملة الأخيرة ..

(نادين) ..

حبيبة قلبى ..

لم أسمع صوتها منذ أيام .. كنت مشغولاً باختفاء المرضى ثم جريمة القتل والبحث عن القاتل .

أما الآن فقد هدأت الأمور تمامًا .

العيادة مزدحمة .. كما كانت قبل سفرى ..

لم أعد أعتذر للمرضى .. لقد انشغلت عنهم فى الأيام الماضية بسبب تقمصى لشخصية المخبر السرى الذى يبحث عن القاتل ويريد القبض عليه .. أما الآن فلا .. لقد عدت لشخصيتى الحقيقية .. شخصية الطبيب النفسى الذى يبحث عن آلام مرضاه ويريد القبض عليها وتخليصهم منها .

اتصلت بـ (نادين) ..

أريد الاطمئنان عليها ..

Looloo

www.dvd4arab.com

أفتقدّها بشدة .. أفتقدّ صوتها .. همساتها .. كلماتها ..
نظراتها .. أفتقدّ كل شيء يخصها .. وكنت قلقاً بسبب الأحلام التي
رأيتها أثناء سفرى ..
- آلو ..

صوتها الجميل يصل لأذنى وهى تقول :

- آلو ..

- (نادين) ..

- نعم أنا ..

لم أكن أسألها .. فأنا أعرف صوتها جيداً .. أستطيع تمييزه
من بين آلاف الأصوات .. إنه أعذب صوت فى العالم .. سألتنى :
- من أنت ؟

يبدو أنها تداعبنى .. بالتأكيد عرفت صوتى .. كم أحب
دعائياتها ! .. قلت لها :

- أنا (ياسين العوضى) .. المحب العاشق الولهان المتيّم
بحبك .. الذى لا يستطيع الحياة من دونك .. من دون أن يرى
وجهك .. دون أن يسمع صوتك .. دون أن ..

قاطعتنى قائلة بحدة :

- توقف .. توقف .. وإياك أن تتصل هنا مرة أخرى وإلا
جعلت زوجى يصل إليك ويبرحك ضرباً ..
ثم وضعت السماعة ..
ما هذا ؟ كيف تزوجت ؟ ومن ؟ ومتى ؟
لا بد أنها قالت ذلك لأن أمها كانت بجوارها ..
أم .. إن أحلامها قد تحققت ؟

* * *

فى العدد القادم .. سوف نتحدث عن حالة الـ ..

لا داعى من الحديث عن العدد القادم .. فلنجعلها مفاجأة ..

كلمة أخيرة : انتظروا الحالة القادمة ..

حالة خاصة جداً

جداً جداً

جداً

تمت بحمد الله

لمراسلة المؤلف ..

بالبريد الإلكتروني على ...

halat khasa@yahoo.com

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسى

بصارع للحفاظ على حياته

والحفاظ على سلامة عقله

صدر من هذه السلسلة :

١ - حالة الحاسة السادسة .

٢ - حالة بارانويا .

٣ - حالة مستحيلة .

٤ - حالة الفراشة السوداء .

٥ - حالة ديجا فو .

٦ - حالة فوبيا .

٧ - حالة اشتباه .

سلسلة الأعداد الخاصة

صدر من هذه السلسلة :

١ - حالة زوجة أديب .



محمد رفعا عبد الله



حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسي ،
يصارع للحفاظ على حياته ،
والحفاظ على سلامة عقله .

حالة اشتباه

- من هي الطبيبة الغامضة
التي زارت د. (ياسين) ؟
- أين اختفى المرضى ؟
- من هو المتهم في جريمة
قتل الطبيب النفسي ؟
- ومن هو القاتل الحقيقي ؟
- و ... من هو القاتل ؟ !

العدد القادم

حالة حبشية قلبى



المؤسسة

العربية الحديثة

نظمت النشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

التمن في مصر 500

وما يعادله بالـ دولار الأمريكى
في سائر الدول العربية والعالم